مَنهج المؤرِّخ جارُ اللَّهِ بنُ فهدٍ المكيٍّ

(ت٩٥٤هـ /١٥٣٨م)

في كِتَابه

{الجَواهِرُ الحِسَانُ في مَناقبِ السُّلْطَانِ سُلَيمان بن عُثمان}

(دِراسةٌ نقديَّةٌ)

دكتور

سامح إبراهيم عبد الفتاح عبد العزيز

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

قسم التاريخ والحضارة

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر فرع المنصورة

Method of The Historian Jar Allah Bin Fahd Makki (T 954 AH / 1538 AD) in His Book

Sameh Abdel Fattah
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language , Al-Azhar University Mansoura branch, Egypt.
E-mail : *samehoar03@gmail.com*

Abstract

This research aims to several objectives, most notably:
To highlight one of the most important historians personal Meccans and his approach to historical writing a new theme in Ottoman history is not preceded by the historian Mackie Hijaz after submission of the Ottoman Empire, Stand on the efforts made by Ibn Fahd in information gathering and criticize them and arrange them and written to the output of this first book in the door. This research is interested in scientific study to indicate the approach of one of the most important historians Meccans during the tenth century is Jar Allah bin Fahd Al-Hassan gems in the book in translation Sultan Suleiman Othman، The Ibn Fahd more than fifty authors of a scientific family draw in Islamic history and public history in Mecca a large number of books over three centuries, from the eighth century until the tenth centuries AD, But the research topic for his method of writing a book gems Hassan only, critical study after definition Son Fahd and his book, briefly, he moved to a statement the book plan and divide, and the extent to which the name of the book with its content, and the reason authored and chosen for this new topic to historians of Mecca is the first of a thousand in the history of the Ottoman Empire.
In the second part, I take the style of writing, and the safety of the language and spelling rules, and the extent influenced by the literary style, which is dominated by assonance, exaggerations, and how to choose his words and expressions The third section: It was narrated that Ibn Fahd historical approach, in the collection of the rule book and information, from the selection of sources, and Mroyate, and his observations, moving it from its contemporaries, influenced by the contemporary, Then his approach to historical writing, was the historical method - or complex narrative approach - or follow the curriculum cash and penalties - and aggregate and detail - and discuss the differences between the Almruyat - Do you follow the event from beginning to end?

Keywords: the historian - Jarallah bin Fahd Makki – Method - the history.

منهج المؤرّخ جارُ اللّهِ بنُ فهدٍ المكيِّ (ت٩٥٤هـ /١٥٣٨م) في كِتَابه

سامح عبد الفتاح
قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر فرع المنصورة، جمهورية مصر العربية.
الإيميل: samehoar03@gmail.com

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى إبراز شخصية واحد من أهم المؤرخين المكيين ونقد منهجه في الكتابة التاريخية لموضوع جديد عن مناقب السلاطين العثمانيين الأوائل ألَّفه ليقدمه إلى السلطان سليمان القانوني، والفرق بين منهجه في الكتابة عن العثمانيين في هذا الكتاب وكتابته عنهم في مؤلفاته الأخرى، والوقوف على الجهود التي بذلها في جمع المعلومات ونقدها وطريقة توثيقها ومنهج تبويبها وترتيبها وكتابتها لإخراج هذا الكتاب ويهتم هذا البحث بدراسة علمية لبيان منهج واحد من أهم المؤرخين المكيين خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، هو جار الله بن فهد في كتابه : الجواهر الحسان في ترجمة السلطان سليمان بن عثمان، ولابن فهد أكثر من خمسين مؤلفاً وهو من أسرة علمية ألفت في التاريخ الإسلامي العام والتاريخ المكي عدداً كبيراً من المؤلفات على امتداد ثلاثة قرون من القرن الثامن وحتى العاشر الهجريين، لكن موضوع البحث عن منهجه في تأليف كتاب الجواهر الحسان فقط، دراسة نقدية، فبعد التعريف بابن فهد وكتابه بشكل مختصر، انتقل لبيان خطة الكتاب وتقسيمه، ومدي توافق اسم الكتاب مع محتواه، وسبب تأليفه واختياره لهذا الموضوع الجديد على مؤرخي مكة المكرمة، ثم أتناول

أسلوب الكتابة، ومدى سلامة اللغة وقواعد الإملاء، ومدى تـأثره بالأسـلوب الأدبي، واستخدامه السجع، والمبالغات، ومنهجه في اختيار تعبيراته وألفاظـه، وأما عن منهج ابن فهد التاريخي، فيمر بمرحلتين : مرحلة جمع مادة الكتـاب ومعلوماته، واختيار مصادره، ومروياته، ومشاهداته، ونقله عن المعاصـرين، وتأثره بالمعاصرة، والثانية مرحلة العرض التاريخي: وأتحدث فيها عن منهجه في الكتابة التاريخية، هل كان المنهج التاريخي أم مجرد الجمـع والسـرد أم اتبع منهج النقد والترجيح أو الاستطراد والاختصار، هل ناقش الخلافات بـين المرويات، وتتبع الحدث من البداية حتى النهاية .

الكلمات المفتاحية : منهج – المؤرَّخ – جارُ اللَّهِ بنُ فهدٍ المكيٍّ – التاريخ.

المقدمة

يعد علم التراجم والطبقات من فروع التاريخ التي ابتكرها المسلمون؛ لأهميتها في معرفة رجال الحديث الشريف ورواته، وهي مؤلفات كثيرة فيها معلومات وافية وقيمة عن المجتمع من خلال الترجمة لبعض رجاله ومعرفة أدق التفاصيل عن حياتهم، لا سيما أنه توسع ليضم إلى جانب المحدثين الخلفاء والولاة والأمراء والقضاة وقادة الجيوش والكتاب والمفسرين والنحاة والفقهاء والمؤرخين وغيرهم من فئات المجتمع المسلم في شتى العصور، حتى إنه من الممكن أن نقول أن ليس فئة من فئات المجتمع الإسلامي إلا وصنفت فيها المصنفات من كتب التراجم والطبقات، وكان للخلفاء والسلاطين النصيب الأوفر في هذا الباب، وكتاب «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان» واحد من هذه المؤلفات التي قامت على الترجمة لبعض سلاطين الدولة العثماني وجمع مناقبهم قدم فيه ابن فهد معلومات وافية فيما يتعلق بالنسب والصفات والفضائل بالإضافة إلى التأريخ لأعمالهم وبعض أحداث عصورهم.

ورغبة منه في توصيف هيئتهم التي خلقهم الله عليها من الطول والقصر والبدانة والنحافة ولون البشرة واللحية وغير ذلك فقد قدم صورة أدبية وصف فيها كل ذلك وكأنه يستعيض عن التصوير الحقيقي فمن يقرأ كأنه يرى.

وهذا البحث يقدم دراسة علمية عن منهج واحد من أهم المؤرخين المكيين خلال القرن العاشر الهجري هو جار الله بن فهد في كتابه: «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، وللمؤلف أكثر من خمسين كتاباً في العلوم الدينية والاجتماعية حيث إنه ينتمي إلى

المدرسة الدينية التي اختلط فيها التاريخ بعلوم الشريعة كالفقه والحديث الشريف [١].

وابن فهد من أسرة علمية ألفت في التاريخ الإسلامي العام والتاريخ المكي عدداً كبيراً من المؤلفات على امتداد ثلاثة قرون من القرن الثامن وحتى العاشر الهجريين، لكن موضوع البحث عن منهجه التاريخي في كتاب «الجواهر الحسان...» فقط، دراسة نقدية، فبعد التعريف بابن فهد وكتابه بشكل مختصر، أنتقل لبيان خطة الكتاب وتقسيمه، ومدي توافق اسم الكتاب مع محتواه، وسبب تأليفه واختياره لهذا الموضوع الجديد على مؤرخي مكة المكرمة، ثم أتناول أسلوبه في الكتابة، ومدى سلامة اللغة وقواعد الإملاء، ومدى تأثره بالأسلوب الأدبي، من استخدامه السجع، والمبالغات، وكيفية تعبيراته واختيار ألفاظه، أسلوبه في بناء الترجمة واختيار عناصرها.

وأما عن منهج ابن فهد التاريخي، فينقسم إلى قسمين، الأول: منهجه في جمع مادة الكتاب وحصر معلوماته، واختيار مصادره، ومروياته، ومشاهداته، وتأثره بالمعاصرة. والآخر عن منهجه في الكتابة التاريخية، هل كان المنهج التاريخي، أم الجمع والسرد، أم انه اتبع منهج النقد والترجيح والإجمال والتفصيل، هل ناقش الخلافات بين المرويات، وتتبع الحدث من البداية حتى النهاية؟ هل التزم منهج التأريخ الشخصي للسلاطين على الطريقة الحولية؟.

---

(١) رابعة مزهر شاكر، محمد عبد القادر خريسات: الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤م، ص ٧٢.

موضوع البحث:

يدور هذا البحث حول منهج المؤرخ الحافظ جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي (ت٩٥٤هـ / ١٥٣٨م) في تأريخه وترجمته للسلاطين العشرة الأوائل الذين حكموا الدولة العثمانية من قيامها (٦٩٩هـ / ١٣٠٠م) وحتى سنة (٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) بعد مضي عامين من حكم السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي حكم في الفترة من ٩٢٦-٩٧٤ هـ / (١٥٢٠- ١٥٦٦م)، وهو من المؤلفات التي ركزت على مناقب ومحامد السلاطين العثمانيين وشجاعتهم أثناء الحروب والفتوحات العثمانية الأولى، فتضمن أخباراً عن بعض الأحداث التي عاصرها المؤلف مثل صراع العثمانيين مع الصفويين، ثم من بعدهم المماليك والذي انتهي بخضوع الشام ثم مصر والحجاز للحكم العثماني، كما وصف أحوال مكة المكرمة الاقتصادية وما انتابها من فقرات الغلاء معتمداً على مشاهداته الشخصية، ومصادره الأصيلة.

فنظرته للتاريخ ومنهجه في كتابة أحداثه نظرة شمولية لجوانب الحياة المختلفة بخلاف المؤلفات التي أهملت الجانب الحضاري، وهو بهذا الكتاب يكون قد خرج عن المألوف بين المؤرخين المعاصرين له الذين حبسوا أنفسهم في الإطار الجغرافي الذي يسكنون فيه، أو على الأكثر القريب جداً منهم ولم يخرج أحدهم في الكتابة التاريخية عن هذا الإطار فابن فهد بكتابته عن مناقب وفتوحات العثمانيين يدلل على سعة ثقافته وشمولية اطلاعه وتمكنه.

ولا عجب فهو من أسرة علمية مكية عريقة تنسب إلى فهد بن حسن بن محمد بن عبد الله بن سعد ابن هاشم، وتتصل بمحمد – الشهير بابن الحنفية

– بن علي بن أبي طالب، خدمت العلم في مكة المكرمة والحجاز لمدة ثلاثة قرون من الثامن حتى العاشر من الهجرة (الرابع عشر إلى السادس عشر الميلاديين) وأبدع أبناؤها في الفقه والحديث بالإضافة إلى التاريخ.

وهم وإن أرخوا لمكة أو الحجاز فلا غرابة فأهل مكة أدرى بشعابها، كما لا يستهجن أن يكتب بعضهم في تاريخ الإسلام العام من بدء الخليقة وتاريخ الأنبياء والأمم قبل الإسلام والعرب في الجاهلية والسيرة النبوية والتاريخ الأموي أو العباسي والمملوكي فذلك تاريخ المسلمين العام لا يعترف بالتخصصية المكانية للمؤرخين، أما أن يكتب أحدهم وهو الجار ابن فهد في مناقب سلاطين آل عثمان الذين عاشوا في مكان بعيدة عن مكة وبعضهم عاش في فترة سابقة عليه فهذا أمر يستثير الباحث ليتساءل عن أسباب هذا التأليف ودوافعه، والمنهج الذي اتبعه ابن فهد فيه، خاصة أن المؤلف وإن أطلق علي الكتاب: «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، ويقصد معاصرِه سليمان القانوني بن سليم الأول ٩٢٦- ٩٧٤ هـ (١٥٢٠- ١٥٦٦م) فإن الكتاب في حقيقته تراجم لسلاطين الدولة العثمانية من نشأتها وحتى عصر المؤلف الذي يتزامن مع السلطان سليمان المذكور، كما أنه اشتمل على موضوعات كثيرة في تاريخ المنطقة العربية قبل ضم العثمانيين لها.

من ثَمَّ يمكن طرح الفَرضِيَّة الأساسية للبحث وهي.

ما دوافع المؤرخ ابن فهد المكي في التأريخ لسلاطين الدولة العثمانية عامة والسلطان سليمان القانوني على وجه الخصوص في وقت توفرت فيه الكتابات العثمانية، وما منهجه والأسس العلمية التي بنى عليها كتابه؟.

ومن هذا السؤال تتفرع أسئلة فرعية كثيرة منها.

هل كان الدافع هو رغبة ابن فهد في القرب من السلطان سليمان ونيل عطائه والظفر بمودته؟

ما المصادر التي جمع منها ابن فهد مادته العلمية، وما أسس اختيـاره لها وهو الحافظ المحدث؟

هل كان للمعلومات التي جمعها نصيب من النقد والتنقيح أم أنه كتـب كل ما جمع من غير تفريق بين الغث والثمين؟

هل اتبع منهج التوثيق لما ينقل عن مصادره أو يروي عن معاصريه أم أنه نقل عنهم من غير أن ينسب إليهم؟ وما منهجه في التوثيق والإحالة؟

هل التزم الموضوعية في عرض الأحداث المعاصرة فوصـفها كمـا شاهدها، أم تأثر بعاملي الرغبة والرهبة؟

ما منهجه في تقسيم الكتاب وتبويبه ووضع عناوين الموضوعات، ومـا مدى توافق عنوان الكتاب مع محتواه؟

ما أهم الموضوعات التي ضمنها جار الله بن فهد كتابه وليست ضـمن حدود العنوان؟

هل اتبع منهج النقد التاريخي للأحداث وربط أسبابها بنتائجها بعد تحليل الوقائع؟

هل نقد العثمانيين في أعمالهم وبيَّن صوابها من خطأها مدعِّما ما يقول بالشواهد أم أن الكتاب كان مجرد مدح وإطراء لهؤلاء السلاطين بطريقـة تجذب إليهم القارئ والمثقف العربي وتخضعه لحكمهم؟

ما المنهج التاريخي الذي اتبعه بشكل عام في تدوين كتابـه «الجـواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان».

إلى غير ذلك من الأسئلة التي ستجيب هذه الدراسة عنهـا بتوفيـق الله تعالى.

- أسباب اختيار موضوع البحث ومبرراته:

دعتني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:

- أهمية كتاب «الجواهر الحسان...» في بابه إذ يعد من الكتب النادرة التي ألفها المؤرخون المكيون في تاريخ مناقب السلاطين العثمانيين وفتوحاتهم من قيام دولتهم وحتى نهاية الربع الأول من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).
- مكانة ابن فهد العلمية وامتلاكه أدوات البحث فهو من أسرة لها باع في الكتابات التاريخية وله تجارب كثيرة في الكتابة التاريخية.
- لم يكن ابن فهد كغيره من معاصريه حبيس منطقته الجغرافية بل خرج بكتاباته إلى بلاد الدولة العثمانية يؤرخ لمدنها المختلفة بغض النظر عن البعد المكاني.
- معاصرة المؤلف لكثير من الأحداث التي أرخ لها في الكتاب مثل: الصراع العثماني الصفوي، وتفاصيل الخلاف العثماني المملوكي الذي انتهى بضم بلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز.
- افتقار المكتبة التاريخية إلى بحث علمي مركز يحدد فيه منهج ابن فهد في كتاب «الجواهر الحسان...» خاصة دون بقية مؤلفاته بطريقة نقدية.

- أهداف البحث:

يهدف الباحث من خلال الدراسة أن يحقق الأهداف التالية:

- الوصول إلى وصف دقيق لمنهج ابن فهد المكي في كتاب «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان».

- مدى التناسب بين الاسم الذي اختـاره ابـن فهـد لكتابـه وبـين الموضوعات التي تناولها فعلياً.
- المقارنة بين منهج ابن فهد وهو يكتب تاريخ مكة وبينه وهو يكتب للدولة العثمانية.
- نقد منهج ابن فهد في اختيار موضوعه، وتبويب كتابه.
- نقد مصادر ابن فهد التي اعتمدها في الكتابة.
- التحقق من تأثره بالمعاصرة في الكتابة للسلطان سليمان القانوني، هل أثرت عليه الرغبة أو الرهبة أم التزم الموضوعية.
- توصيف طريقته في عرض المعلومات وقدرته على تحديد العبـرة منها.

- أهمية البحث:

ترتبط أهمية الموضوع بأهمية الكتاب ومكانة مؤلفه، كما سبق بيانه في النقاط السابقة من هذا العرض، وأهم ما يمكن إضافته فوق ما سبق.

- مقارنة ما جاء في الكتاب بمصادره والتأكد من دقة ابن فهـد فـي النقل عن المصادر.
- تقييم منهج ابن فهد في تأريخ الكتاب المذكور.
- المقارنة بين منهج ابن فهد في تأريخه للعثمانيين ونقـده لهـم فـي «الجواهر الحسان...» وفي كتبه الأخرى.
- اكتشاف مؤرخ مكي جديد لينضم إلى قائمة المـؤرخين العثمـانيين باللغة العربية.

- الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات السابقة والمتشابهة مع هذا الموضوع، لكنها لا تتعارض مع جدته ولا تؤثر على جانب الابتكار فيه منها.

١- شريف فاضل أمين جاد الله: عمر بن فهد المكي ومنهجه التاريخي ٨١٢ ه - ١٤٠٩م / ٨٨٥ه - ١٤٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، وهذه الدراسة تخص جد المؤلف وهو من مؤرخي بني فهد.

٢- إبراهيم بن حمود المشيقح: جار الله بن فهد المكي مؤرخاً، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٢هـ.

وهذه دراسة عامة حاول فيها الباحث أن يبني حكماً عاماً على منهج ابن فهد من خلال كل مؤلفاته التاريخية على كثرتها وتنوع موضوعاتها ومعلوم أن كل كتاب له ظروفه ومنهجه، كما أن نصيب كتاب «الجواهر الحسان...» في هذه الدراسة كان قليلاً، ولم يستطع الباحث أن يفرق بين أسلوب ابن فهد في الكتابة عن مناقب العثمانيين في هذا الكتاب وبين تأريخه لهم في مؤلفاته الأخرى فطبيعة الكتاب وسبب تأليفه لهما دور في بناء منهج ابن فهد في كتابته.

٣- محمد بن سلامه مبارك العطوي: الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان للمؤلف الشيخ جار الله بن فهد المكي (ت ٩٥٤هـ)، دراسةً وتحقيقاً، رسالة ماجستير غير منشورة في الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ.

وتعد هذه الدراسة هي الأقرب من بحثي، وقد كنت أحد عضوي لجنة مناقشتها، وبعد قراءة العمل قراءة فحص رأيت أن الباحث شغله تحقيق النص وإخراجه من صورته المخطوطة إلى عالم المطبوعات عن التدقيق والتقصي لبيان منهج ابن فهد في التأريخ للسلاطين العثمانيين من خلال كتابه «الجواهر الحسان...»، وفي ست صفحات من ص ٧٤- ٧٩ أوجز منهج المؤلف، بطريقة مقتضبة تحتاج إلى إعادة نظر متأنية مبنية على خطة علمية دقيقة كما هو موضح في خطة هذا البحث.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث تعقبهم خاتمة وفهارس.

المقدمة وفيها: تعريف بموضوع البحث، وأساب اختياره، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

تمهيد: **في التعريف بابن فهد**.

المبحث الأول: خطة ابن فهد وتقسيمه للكتاب.

أ – سبب تأليفه للكتاب واختياره للموضوع.

ب – توافق عنوان الكتاب مع محتواه.

جـ – الموضوعات التي تناولها خارج عنوان الكتاب.

د – تقسيم ابن فهد للكتاب وتبويبه.

- ترتيب الكتاب وتنظيمه.
- عنونة موضوعات الكتاب.

المبحث الثاني: أسلوب ابن فهد في الكتابة التاريخية.

أ – الضبط اللغوي، وسلامة قواعد النحو والإملاء.

ب – الأسلوب الأدبي (السجع، المبالغات) .

جـ – أسلوبه في بناء الترجمة .

د – تأثره بأسلوب من سبقه وتأثيره فيمن لحقه .

المبحث الثالث: منهج ابن فهد التاريخي.

أ – منهجه في جمع مادة الكتاب ومعلوماته

١– اختيار مصادره، ومروياته، ومشاهداته .

٢– تأثر ابن فهد بالمعاصرة .

٣– طريقته في التوثيق من المصادر .

ب – منهجه في الكتابة التاريخية.

١– المنهج التاريخي .

٢– السرد .

٣– النقد والترجيح .

٤– السرد والاختصار .

٥– التأريخ الشخصي للسلاطين .

٦– الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر العربي

٧– المنهج الوصفي .

– الخاتمة.

– الفهارس.

– منهج الدراسة:

سأعتمد في هذه الدراسة التاريخية النقدية علي عدة مناهج منها المنهج التاريخي في ترتيب الأحداث وصوغها حسب تاريخ وقوعها ترتيباً زمنيـــاً، والمنهج التحليلي لاستقراء وتحليل نصوص المصادر التي اعتمد عليها ابن فهد، والمنهج النقدي في نقد المنهج الذي اتبعه في جمع مادة كتابـــه مـــن مصادرها وكيفية اختيارها والإفادة منها مع تمييـــز الغـــث مـــن الثمـــين، والمنهج الوصفي لوصف كيفية صياغتها بطريقـــة أدبيـــة، والتحقـــق مـــن الموضوعية والقدرة على استيعاب سير عجلة الأحداث وتحليلها وترتيبهـــا وعرض أسبابها ونتائجها مجردة من كل ميل أو هوى.

التمهيد
في التعريف بابن فهد

لقد زخر التاريخ الإسلامي بعدد كبير من أعلام المؤرخين الأفذاذ الذين سجلوا أحداث هذه الأمة وترجموا لأعلامها ومنهم الحافظ جار الله بن فهد المكي.

وهو محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي الشافعي، ولد بمكة المكرمة في ٢٠ رجب ٨٩١هـ (٢٣يوليو ١٤٨٦م) وعاش في بيت والده وجده الذي يقع قريباً من المسجد الحرام في زقاق كان يُعْرَف قديماً بـ «ابن عطيط»، وصار في عهدهم يسمى «الفهود» نسبة إلى عائلتهم[١].

اهتم أبوه بتربيته منذ طفولته فوجهه نحو طلب العلم في حلقات المسجد الحرام وهو لا يزال في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم، ثم قرأ على والده كتباً كثيرة بعضها في السيرة النبوية وبعضها في التاريخ[٢].

وهو من عائلة مكية عريقة في العلم والنسب اشتهر أبناؤها بالحديث الشريف والتاريخ، وامتد عطاؤهم العلمي من أوائل القرن الثامن إلى نهاية القرن العاشر الهجريين(الرابع عشر إلى السادس عشر الميلاديين) فحياتهم العلمية في مكة المكرمة تزيد عن الثلاثة قرون كان لهم خلالها الكثير من

---

(١) آل كمال، سليمان بن صالح: مكتبة آل ابن فهد ودورها في ازدهار الحركة العلمية، بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية العدد السابع عشر ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (٣١٥، ٣١٦).

(٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، (٣/٥٢).

العطاء العلمي في التدريس والتأليف، واشتهر منهم أربعة هم التقي ابن فهد، وابنه النجم ابن فهد، وابنه العز ابن فهد، وابنه الجار ابن فهد وهو محل الدراسة[١].

رحل ابن فهد للاستزادة من العلم والمعرفة عدة مرات إلى مصر والشام واليمن وغيرها من المراكز العلمية، وأخذ يجمع الكثير من العلوم والفنون، فعاد بعلم كثير وإجازات عديدة. كان موسوعياً فألَّف في: الحديث وعلومه، واللُّغة، والأدب، والتاريخ[٢]، أُحصيت مؤلَّفاته في التاريخ والحضارة فقط فبلغت نحواً من خمس وثلاثين كتاباً، من أهمها التاريخ المكي حيث سلك مسلك والده وجده فأولى جُلَّ عنايته بكتاب جده «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، الذي وضع عليه والده ذيلاً سماه «بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، فقام بإكمال مشروع العائلة ليضع آخر لبناته كتاب: «نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، واصل فيه أخبار مكة المكرمة من حيث انتهى والده[٣]، ومن مؤلفاته الحضارية كتاب «التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة»، و«بهجة الزمان بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان»،

---

(١) جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي: نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٣ – ٩٤٦هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (٦،٧/١).

(٢) الغزي، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت١٠٦١هـ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل المنصور، نشر دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، (١٣١/٢).

(٣) الهيلة، محمد الحبيب: التاريخ والمؤرخون بمكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م، (١٩٧–٢١٣).

و«حسن القرى في أودية أم القرى»، وله في تاريخ البلدان «السلاح والعدة في فضائل بندر جدة»، و«الفرائد البهيات في فوائد البلدانيات»، وفي التراجم «تحفة الإيقاظ بتتمة ذيل تذكرة الحفاظ»، و «معجم الشيوخ» في أسماء شيوخه، و «تاريخ يفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع من الأحياء»، و«تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف»، و «الأقوال المتبعة في بعض ما قيل في مناقب أئمة المذاهب الأربعة»، وفي تاريخ الأنبياء والأمم قبل الإسلام كتب «بلوغ الإرب بمعرفة أي الأنبياء من العرب»، و«بلوغ الإرب في حكم تيجان العرب»(١).

وفي التاريخ السياسي والمناقب «غاية الأماني والمسرات لعلو سلطان الحجاز أبو زهير بركات»، و«بلوغ الإرب في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب»، و«نهل الظرافة بذيل مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة»، و«حسن السلوك في فضل الملوك» (٢).

مما سبق يتضح التوجه العام لابن فهد في الكتابة التاريخية ويبدو أن التراجم والمناقب شغلت حيزًا كبير من وقته وجهده، وأن الدولة العثمانية كان لها مكانة خاصة بين مؤلفاته.

ولعل من أسباب كثرة مؤلفاته أنه من أسرة علمية تمتلك أدوات البحث ومصادره لا سيما المكتبة التي تولَّى الإشراف والنظارة عليها بعد والده، فعرَّفته بقيمة الكتاب، وأكسبته الخبرة، وتم له ذلك عن طريق التأليف(٣).

---

(١) الحضراوي، أحمد بن محمد المكي الشافعي ت ١٣٢٧ه: الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق د: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م، (ص ٨٣).

(٢) جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (١/١٠- ١٣).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٥٢/٣).

المبحث الأول
خطة ابن فهد في تبويب الكتاب وتقسيمه

اتبع ابن فهد خطة جيدة في هذا الكتاب بداية من سبب تأليفه واختياره لموضوعه وموافقة المحتوى للعنوان، ونجح في تقسيم الكتاب وتبويبه وعنونة أغلب موضوعاته بعناوين تعبر عما تحتها من معلومات، لكن عمله لم يخل من ملحوظات تنقد ويستدرك عليه فيها.

أولاً: سبب تأليفه للكتاب واختياره للموضوع.

شهد القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) إعادة توزيع القوى في العالم الإسلامي فانصرفت همم المؤرخين العرب إلى كتابة التاريخ السياسي الذي كان مفعماً بالأحداث بعد ظهور الدولة العثمانية التي وطدت سلطانها في غرب آسيا وشمال إفريقيا حتى حدود المغرب الأقصى بعد صراعها مع الصفويين ثم مع المماليك وقضائهم على دولتهم في الشام ومصر، وضمهم للحجاز الأمر الذي أدى إلى تحول هذه البلاد إلى ولايات تابعة للحكم العثماني [١].

ولما كان نبوغ المؤرخين العرب الحقيقي في التدوين التاريخي يتجلى في كتابة السير أكثر من رواية الأخبار، تحولت بوصلة الكتابة التاريخية عندهم إلى نقطة متوسطة تجمع بين التراجم وكتابة التاريخ السياسي فظهر

---

(١) هـ. آر. جب: علم التاريخ، كتب سلسلة المعارف الإسلامية، رقم ٤، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، (ص ١١٣).

ما يعرف بباب التراجم السياسية أو المناقب السلطانية وصار هذا المجال أمرًا يكاد ينعقد عليه إجماع مؤرخي العرب في ذلك العهد(١).

ولا شك أن هؤلاء المؤرخين تأثروا بالتوجه العام في الدولة العثمانية خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) حيث انصبت مؤلفات العثمانيين أنفسهم بالدرجة الأولى على مناقب سلاطين الدولة وفتوحاتهم وتراجم وولاتهم وعلمائهم وقد بدأ ذلك على يد بخشي فقيه مؤلف كتاب «مناقب آل عثمان»، وعاشق زادة صاحب كتاب «تاريخ آل عثمان»، ولا ريب أن كل من جاء بعدهم استفاد منهم وقلدهم، وابن فهد ممن تأثر بهذا التوجه في الكتابة التاريخية(٢) يقول ابن فهد: «ولهذا تصدى كثير من العلماء الأعلام، ومشايخ الإسلام، لعدة تواليف في ذكر مملكة الروم»(٣)، فيكون هذا جزءًا من السبب العام في تأليف ابن فهد للجواهر الحسان.

ومنه أيضاً تشجيع السلاطين العثمانيين للعلماء والمؤرخين وحسن استقبالهم وإكرامهم أمثال شيخ القراء ابن الجزري(٤) الذي استقبله السلطان بايزيد الأول ٧٩١ – ٨٠٤ هـ (١٣٨٩ – ١٤٠٢م) واستضافه في مملكته

---

(١) جب: علم التاريخ، مرجع سابق، (ص ١٠٠).

(٢) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/أ)، جار الله بن فهد: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، تحقيق: قيس كاظم الجنابي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، (ص ٨٦).

(٤) محمد بن علي الجزري الشافعي الدمشقي ٧٥١- ٨٣٣هـ (١٣٥٠-١٤٣٠م) أشتهر بالقراءات والحديث، رحل في طلب العلم، ونزل بورصة في بلاد الروم على السلطان بايزيد لمدة سبعة أعوام.السخاوي: الضوء اللامع، (٩/٢٥٥-٢٥٧).

وأكرمه وعظّمه[1]،كما استقبل الفيروزبادي[2]صاحب القاموس المحيط، فأقام عنده مُدّة، وأكرمه وأعطاه الكثير من العطايا[3]، وأما ابنه السلطان محمد جلبي ٨١٦ – ٨٢٤ هـ (١٤١٣– ١٤٢١م) فاستضاف المؤرخ ابن عرب شاه نحو عشر سنين[4]، واستقبل مراد الثاني بن محمد جلبي ٨٢٤ – ٨٥٥هـ (١٤٢١– ١٤٥١م) الشيخ الكوراني[5]، وأسند إليه تعليم ابنه محمد الفاتح وعينه في قضاء العسكر ثم نقله إلى منصب الفتوى[6]،

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب).

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزأبادي، ٧٢٩– ٨١٧هـ (١٣٢٩–١٤١٤م) دخل بلاد الروم فأكرمه السلطان بايزيد ونال عنده مرتبه وجاهاً، له أكثر من أربعين مصنفاً، زار العديد من البلدان. السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٧٩– ٨٦).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/ب).

(٥) أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني ٨١٣ – ٨٩٣ هـ (١٤١٠ – ١٤٨٨م)، كردي الأصل، كان شافعي المذهب خرج من مصر واستقبله السلطان مراد الثاني وولاه مدرسة جده مراد الأول في «بورصة» ثم مدرسه جده السلطان بايزيد الأول عهد إليه بتعليم ابنه محمد الفاتح، ولما تولى محمد السلطنة ولاه قضاء «بورصة»، ثم قلده الفتوى وأغدق له العطاء فهو معلمه فتفرغ للتصنيف في علوم التفسير وشرح البخاري وأقرأ الحديث والتفسير وتخرج عليه كثير من الطلاب توفي. السخاوي: الضوء اللامع (١/٢٤١)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ): نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: فليب حتى، المكتبة العلمية، بيروت، (ص ٣٨)، زاده، طاشكيري (ت ٩٦٨هـ): الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربي، بيروت، (ص ص ٥١ –٥٤).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٠/أ).

وكذلك السلطان بايزيد الثاني بن محمد الفاتح ٨٨٦- ٩١٨هـ (١٤٨١- ١٥١٤م)، الذي حث على تسجيل حوادث الفتوحات العثمانية الأولى حفظاً لها من الضياع في عالم النسيان وشجع على الكتابة التاريخية[١]، ثم جاء من بعدهم «سليم الأول» ٩١٨ - ٩٢٦ هـ (١٥١٢- ١٥٢٠م) الذي كان يحب مطالعة التواريخ وأخبار الملوك وله نظم بالفارسية والتركية والعربية الأمر الذي دفع المؤرخين المعاصرين له على التأليف دفعاً أمثال المؤرخ الحلبي، رضي الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحنبلي (ت٩٧١هـ/ ١٥٦٣م) الذي ألف ما يزيد عن خمسين مؤلفاً في عدة فنون منها ما ألفه في التاريخ برسم السلطان سليم[٢].

وابن فهد ممن أعجبه السلطان بايزيد الثاني ووالده محمد الفاتح وأثنى على إغداقهما على أهل العلم لا سيما من بلاد الحرمين الشريفين ومما قال عنهما: « وكلاً سلك طريقه الجلي، في تعظيمه العلماء والفضلاء، والواردين عليه وغيرهم من الأدباء النبلاء، حتى كثر مسير الجمِّ الغفير من أهل الحرمين وغيرهما إليه، ثم يرجعون بما يسرُّهم، ويدفع عنهم ما يضرهم»[٣].

وأما عن السبب الخاص فهو حالة الفقر والغلاء الذي أصاب مكة المكرمة خاصة وبلاد الحجاز لمدة ستة أعوام من سنة ٩٢٣ - ٩٢٦هـ (١٥١٧- ١٥٢٠م) فقام بتأليف هذا الكتاب وأخذه وخرج مسافراً إلى بلاد الروم يقدمه للسلطان علَّ الله أن يلهمه ويوجهه إلى العطاء والإنفاق على

(١) الغزي: الكواكب السائرة، (٢٠٨/١).
(٢) الغزي: الكواكب السائر، (٢٠٨/١).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ ب، ٣٣/أ).

أهل الحرمين الشريفين[(١)]، وهذا الأمر قد أعلنه المؤلف في صـدَّر كتابـه بقوله: «ليطلع مولانا السلطان، وأتباعه من الوزراء والأعوان، على شرح حالي وأهل بلادي، ويعلموا سبب فرقتي لأهلـي وأولادي، فينعمـوا بمـا يوفقهم الله به من فعل الخيرات، والصلة و المبرات، ليكون ذلك ذخيرة في صحائفه، وسبباً لتخليد مُلْكِ مَلِكِهم، وتذكرة للخلف بما فعله السلف»[(٢)].

ومن أجل تحفيز السلطان سليمان وحاشيته على البذل والعطاء فقد ساق أمثلة تاريخية لنماذج من العلماء الذين وفدوا على السلاطين قبله وإكرامهم لهم في وصلهم والإحسان إليهم وتخفيف معاناتهم مثل ذكره عند وفود شيخ القراء ابن الجزري على السلطان بايزيد الأول: «فإنه لما اتصل به أكرمـه وعظّمه، وأنزله عنده بضع سنين وقدّمه، ونشر هنـاك علمـي القـراءات والحديث»[(٣)]، كما استقبل الفيروزبادي[(٤)]صاحب القاموس، وأقام عنده مُدّة، وأكرمه وأعطاه الكثير من العطايا، إلى غيرهما من شيوخ الإسلام[(٥)]، كما استضاف ابنه السلطان محمد الأول ٨١٦ - ٨٢٤ هـ / (١٤١٣- ١٤٢١م) المؤرخ ابن عرب شاه نحو عشر سنين كاملة[(٦)].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٢/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب).

(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزأبادي، (٧٢٩- ٨١٧هـ) دخـل بـلاد الروم فأكرمه السلطان بايزيد ونال عنده مرتبه وجاهاً، له أكثر من أربعـين مصـنفاً، زار العديد من البلدان. السخاوي: الضوء اللامع، (١٠/٧٩- ٨٦).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٧/ب).

وفي نهاية المقدمة أهدى ابن فهد كتابه للسلطان برسالة قال فيها: «من فقير رحمة ربه وكرمه، الملتجئ إلى بيته وحرمه، محمد المدعو جار الله ابن عبد العزيز بن فهد الهاشمي، العلوي، المكي الشافعي، خادم الحديث الشريف، ومؤرخ بلد الله المعظم المنيف، لطف الله به تعالى، إلى مولانا السلطان الأعظم، ملك الروم والعرب والعجم، اسكندر الزمان سليمان، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، ثبت الله له القواعد والأركان، وخلد ملكه وسلطانه، وأيد بالنصر والتأييد جنوده وأعوانه، وصلى الله على محمد وآله أمين» [(١)].

حتى قال: «فنشكره إذ منَّ بك على الأنام...، ونحمده على أن جعلك مؤيداً للشريعة المطهرة وناصرها...، فصرت ركناً للإسلام والمسلمين، مبيداً للطغاة والمتمردين، راعياً لأهل الحرمين، وباذلاً نفيس أموالك لسكان المَحَلَّين المَنيفين، بحيث لم يدركك في ذلك أحد من الملوك» [(٢)].

فهذا الكلام الذي قدم به بين يدي كتابه وما بعده من أحاديث أعقبت المقدمة تكلم فيها عن قبول الهدية ليستفتح قلب السلطان حتى يقبل منه هذا المؤلف عندما يدخل عليه في قصر السلطنة، «لتكون وسيلةً لهم في إقبالهم على الخير»[(٣)]، كل هذا يحدد بشكل قاطع أن ابن فهد ألف كتابه ليقدمه بنفسه للسلطان سليمان.

وقد وظف ابن فهد كتابه لتحقيق هذا الغرض من أوله إلى آخره بل أردفه بتتمة بعد الخاتمة: «نبذة من فضل أهل الحرمين الشريفين، وسكان

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٧/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٨/ب، ١٩/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/ب).

المحلين المنيفين، وذكر ما نزل من الغلاء فيهما، وما فعله الملوك وغيرهم من إغاثة أهلهما، طلباً للأجر والثواب، من الكريم الوهاب، ليطلع مولانا السلطان، وأتباعه من الوزراء والأعوان، على شرح حالي وأهل بلادي، ويعلموا سبب فرقتي لأهلي وأولادي، فينعموا بما يوفقهم الله به من فعل الخيرات»(١).

ولابن فهد تجربة سابقة في التأليف للحكام حيث ألف كتاب «غاية الأماني والمسرات لعلو سلطان الحجاز أبو زهير بركات» ويشتمل على أربعين حديثاً تشتمل على مناقبه(٢).

ثانياً: توافق عنوان الكتاب مع محتواه.

لم يقتصر جار الله بن فهد على سيرة السلطان سليمان بن عثمان ومناقبه وهو المقصود من تأليف الكتاب والذي ينص عليها عنوانه «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، وإنما جاءت مختصرة لم تتجاوز في خمس عشرة لوحة من المخطوط من لوحة رقم (٦٣/أ) إلى لوحة رقم (٧٠/أ) أي حوالي ١١،٦% تقريبًا من إجمالي عدد لوحاته التي تصل إلى ١٢٩ لوحة، تكلم فيها عن مولده، ونشأته العلمية والتدريبية على فنون الجهاد والإدارة، ثم توليه السلطنة بعد أبيه سليم الأول وقضائه على مناوئيه، وخروجه للغزو والفتح في عدة جهات خلال الأعوام الثلاثة الأولى من حكمه ٩٢٦- ٩٢٨ هـ (١٥٢٠- ١٥٢٢م).

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩/ب).

(٢) نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي(ت ٨٨٥هـ): معجم الشيوخ، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، سلسة مؤرخون من مكة، تقديم: حمد الجاسر، المطابع الأهلية، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، (ص ١٣).

بينما أفسح ابن فهد المجال لتراجم ومناقب من سبقه من السلاطين العثمانيين من عثمان المؤسس حتى السنوات الأولى من حكم سليمان القانوني في الفترة الممتدة من ٦٩٩- ٩٢٨هـ (١٣٠٠- ١٥٢٢م)، وضمن الكتاب موضوعات كثيرة خارجه عن حدود عنوانه الموضوعية والزمنية.

فأما الفترة من عهد عثمان الأول حتى بداية عهد سليم الأول ٦٩٩ – ٩١٨ هـ (١٣٠٠- ١٥١٢م)، فتناولها ابن فهد في أربع وثلاثين لوحة من المخطوط، من لوحة (٢٠/ب) حتى لوحة، (٣٧/أ)، بشكل مختصر جداً قد لا يتجاوز ترجمته لبعضهم لوحتين فقط(١)، وهذه نسبتها حوالي ٢٦،٣% من إجمالي عدد اللوحات، وأما عهد السلطان سليم الأول ٩١٨ – ٩٢٦هـ (١٥١٢- ١٥٢٠م) فقد استأثر بالنصيب الأوفر من بين تراجم السلاطين فتوسع المؤلف في الكلام عنه وعن عصره وفصَّل القول في ذكر حروبه مع الصفويين وغيرهم، فيما يزيد عن ثنتين وخمسين لوحة، من لوحة (٣٧/ب) إلى لوحة (٦٣/أ)، أي ٤٠،٣% من الكتاب، وأما بقية لوحات المخطوط ونسبتها ٢١% وعددها ثمانية وعشرين لوحة متفرقة في بداية المخطوط ووسطه ونهايته، فقد تكلم فيها عن موضوعات خارج إطار عنوان الكتاب.

ثالثاً: الموضوعات التي تناولها خارج عنوان الكتاب.

اشتمل الكتاب على بعض الموضوعات التي استغرقت جزءًا كبيرا من الكتاب وهي في الوقت نفسه لا تندرج تحت عنوانه بشكل مباشر بل هي في أغلبها عبارة عن موضوعات أقرب إلى الفقه والحديث والنظم الإدارية

---

(١) مثل ترجمة السلطان مراد الأول، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٢٣/أ،ب).

في الإسلام منها إلى التاريخ أو التراجم والمناقب، وما يتعلق بفضائل بعض المدن، مثل.

١- حكم تقديم الهدية للحكام مع ذكر بعض الأحاديث الواردة في الهدية للملوك(١).

٢- الأحاديث الواردة في فضل بلاد الروم وأهلها(٢).

٣- الأحاديث الواردة في السلطنة وما يتعلق بالسمع والطاعة للسلاطين وولاة الأمور(٣).

٤- ما يتعلق بنظام الحكم وصفات السلطان وما ورد في ذلك من أحاديث(٤).

٥- حاجة السلطان إلى العلماء، ووجوب النصيحة منهم له والأحاديث الواردة في ذلك (٥).

٦- التعريف ببعض مدن بلاد الروم وما فيها من خيرات(٦).

٧- ذكر ما ورد في فضل بلاد الحرمين الشريفين وبعض الأخبار عن أحوالها الاقتصادية(٧).

٨- العلاقات العثمانية المملوكية مع سرد لطائفة من السفراء وصفات بعضهم(٨).

٩- حكم المجاورة في مكة المكرمة(٩).

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١٣ / أ - ١٦/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٠/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٩٣/ب - ٩٥/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٩٧/ب، ٩٨/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١٠٢/أ - ١٠٧/ أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٧٦/ب - ٩٣/أ).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١١١/ب - ١١٨ب).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٣٣/ب - ٣٦/ب).

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١١٠/أ - ١١٢/ب).

وفي الأخير يمكن القول تعليقاً على تبويب ابن فهد للكتاب وتقسيمه وترتيبه أن هذا التبويب في شيء من الخلل فالأولى أن يخصص الكتاب ويقصره على مناقب السلطان سليمان كما نص على ذلك في عنوانه وأن يخرج منه كل ما لا علاقة له بهذا العنوان المحدد، وإن كان لا بد من ذكر بعض الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب لخدمة فكرته وتلبية سبب تأليفه فمن الأصوب أن يعيد ترتيبه ترتيباً تسلسلياً يتفق والمنهج التاريخي فيستهل كتابه بالكلام عن بلاد الروم على اعتبار أنها مقر السلطنة وتخت الخلافة العثمانية وأصل الأتراك ومكان نشأتهم وفضلهم، ثم يتناول السلاطين العثمانيين الأول فالأول بداية من عثمان الأول حتى وقت تأليفه الكتاب في العام الثالث من حكم السلطان سليمان القانوني الذي يوليه الاهتمام الأكبر، ولا مانع خلال حديثه عن السلطان محمد الفاتح أن يتعرض لفتح القسطنطينية، وكدا المدن الأخر كل مدينة يتناولها في عهد السلطان الذي فتحها.

رابعاً: تقسيم ابن فهد للكتاب وتبويبه.

قسم ابن فهد كتابه وبوبه تبويباً منظماً ووضع عناويناً لجل موضوعاته جاءت في أغلبها مناسبة لما تحتها من جزئيات وكان بعضها غير مناسب، وترك البعض للناسخ فعنونه، كما جاءت بعض العناوين غير متسقة مع موضوع الكتاب الرئيس وخارجة عنه ومع ذلك وضعها المؤلف لتلبية غرضه من تأليف الكتاب.

(أ) ترتيب الكتاب وتنظيمه.

رتب ابن فهد كتابه ترتيبًا جيدًا حيث قدَّم بين يديه بمقدمة لخص فيها الهدف من تأليفه وذكر بعضاً من مصادره ثم ذكر خطة هذا الكتاب حيث

أعقب المقدمة ببابين وخاتمة وذكر هذا الكلام في بداية المخطوط« ورتبت هذا التأليف على مقدمة وبابين وخاتمة» (١).

فأما المقدمة في الأحاديث الواردة في الهدية للملوك، والابتهاج بثوابها لكل فقير صعلوك، أبدؤها بحديث الأعمال بالنيات، على طريقة الحفاظ الثقات، فإنّه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وما بديء به في كتاب إلا بورك فيه وكان الختام.

والباب الأول هو المقصود في ذكر مملكة سلطان الوجود، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، الملك المظفر، أبو النصر سليمان، وسلطنة أسلافه لممالك الروم، التي أمتد مسيرها نحو أربعة أشهر تدوم، ونصرة والده اسكندر الزمان الملك المظفر، أبي الفتوحات سليم خان، على الخوارج الصوفية، وتملكه الجهات الشرقية واليمنية، وأخذه الديار المصرية والأقاليم الشامية، وإضافته لخدمة الحرمين الشريفين، وسكان المحلين المنيفين(٢).

ثم تكلم في الباب الثاني عن فضل الروم وأهلها وما ذكر من القرآن والحديث والآثار فيها، وفي فتح المدينة العظمى قسطنطينية وغيرها من البلاد الإسلامية، التي فتحها الصحابة في زمانهم، واتخذها السلاطين تختا لملكهم، وغير ذلك من المآثر الشهيرة، كالمدارس والزوايا والجوامع المنيرة.

وجاءت الخاتمة: في عدة أحاديث منيفة، منبهة على فضل السلطنة الشريفة، والنصح للسلطان، وإرشاده لإغاثة اللهفان، والانقياد له في الأمر بالمعروف، وعدم عصيانه في القول المألوف، والدعاء له بالإعانة، وأن

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨/ب، ٩/أ).

يجعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه، فإنــه مســؤول عــن رعيته، والناصح له منهم يثاب على قدر نيته.

وأردفها بتتمة: في نبذة من فضل أهل الحــرمين الشــريفين، وســكان المحلين المنيفين، وذكر ما نزل من الغلاء فيهما، وما فعله الملوك وغيرهم من إغاثة أهلهما ، طلباً للأجر والثواب، من الكــريم الوهــاب والصــلة و المبرات[1].

ومع أن ابن فهد وضع خطة دراسته في المدقمة إلا أنه لم يلتــزم بهــا التزاماً كاملاً وأخل ببعض النقاط القليلة مثل موضوع ضم بلاد اليمن الذي ضمَّنه موضوعات الباب الأول ونص عليه بقوله: «وتملكه الجهات الشرقية واليمنية»[2]، إلا أنه لم يورد له ذكر في الكتاب.

(ب) عَنْوَنَة موضوعات الكتاب.

ثم قسم ابن فهد الأبواب إلى فــروع تتضــمن جزئيــات الموضــوع وعناصره، واعتنى بوضع عناوين خاصة في مقدمة كل فرع وكل موضوع ليسرد معلوماته تحته؛ لكنه في بعض الأحيان كان يكتب العناوين الفرعيــة على هامش المخطوط مثل عنوان: (أول سلاطين الدولة العادلــة الخنكــار عثمان جُق) [3]، و(قرر الجزية مع تقديم خيل وارق كل عــام)[4]، و(وفــاة العلامة سراج الدين القيصر بالقدس الشريف) [5]، (وقعة غزة) [6]، (وفــاة

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٨/ب– ٩/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٩/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٢/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٠/ب).

المرحوم السلطان سليم) [١]، (ما ولي أحد ولاية إلا بسطت له العافيــة وأن خفر فتح له ما طاقة له به) [٢].

وهذه العناوين الفرعية قد تكون من وضع المؤلف أضافها بعد الفــراغ من الكتاب أثناء مرحلة المراجعة حيث بدى له أن يكتبها تســهيلاً للقــارئ حتى يصل إلى جزئيات الكتاب وعناصره، أو يحتمل أن تكون من وضــع الناسخ للغرض نفسه، وهذا عندي هو الأرجح لأن هناك أخطاء فــي عــدة عناوين لم تتطابق مع ما تحتها من تفصيلات مثل عنوان: (انتقل الســلطان الشهيد في سنة ٨٤٤ هـ يلدرم بايزيد رحمه الله تعالى)[٣] وهو عنوان في غير محله اعتراه الخطأ من وجهين الأول: أن وفاة بايزيد الصاعقة كانــت في عام ٨٠٥ هـ (١٤٠٣م)، وليس عام ٨٤٤هـ (١٤٤٠م) كما ورد فــي العنوان المذكور، والآخر: أن التفصيل تحت العنوان جاء في مجمله عــن السلطان محمد جلبي بن بايزيد الذي حكم في الفترة من ٨١٦ - ٨٢٤ هـــ (١٤١٣- ١٤٢١م).

ومما يرجح أن بعض العناوين من وضع الناسخ أو تعليق مــن أحــد قرائه، العنوان الذي وضعه لتولية السلطان سليمان القــانوني وقــال فيــه: (تولية السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان) [٤] فهذا العنوان ليس من وضع المؤلف ولو كان من وضعه ما قال عليه الرحمــة والرضــوان لأن

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٩/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/أ).

المؤلف كتب هذا الكتاب سنة ٩٢٨هـ (١٥٢٢م) في حياة السلطان المذكور الذي توفي في عام ٩٧٤هـ (١٥٦٧م)[١].

كما أن هذه العناوين لم تكن شاملة ولا كافية لإبراز جميع ما تحتها من جزئيات الكتاب فقد تجاوز ابن فهد بعض الموضوعات التي تستحق أن يعنون لها دون وضع عناوين مناسبة واكتفى بالعناوين الكلية مثل: (الأحاديث الواردة في الهدية)[٢]، وهذه مجموعة من الأحاديث التي ساقها بين يدي كتابه تمهيداً لإهدائه للسلطان، وترغيباً له في قبول هذه الهدية، وحثاً له أن يكافأ المؤلف عليها، فهذه الأحاديث التي رواها بسنده عن شيوخه قدَّمها للغرض المذكور وليرويها عنه من أراد روايتها من علماء السلطنة العلية.

ومن الموضوعات التي لم يعنون لها مع حاجتها للعنوان موضوع (توسع مساحة الدولة العثمانية زمن السلطان سليم الأول) حيث اجتمع له «من بلدان الإسلام، التي لم يجمعها أحد من ملوك الأنام كثغر الروم بأسره، وبلاد العجم وديار بكر، والجهات الشامية، والأقطار الحلبية والمصرية، والأعمال الشرقية والغربية، والمساجد الثلاثة المحترمة والأماكن الشريفة المعظَّمة»[٣].

---

(١) العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (ص ٣٩٦)، ابن العماد: شذرات الذهب ، (١١/٥٤٩-٥٥١)، ووديع أبو زيدون: تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر، عمان، ط٢، ٢٠١١م، (ص ٢٣).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات من (١٣/أ- ١٥أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٨/أ).

المبحث الثاني

أسلوب ابن فهد في الكتابة التاريخية

تميز ابن فهد بأسلوبه في الكتابة التاريخية وجاء كتابه سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مستخدماً الألفاظ العربية الفصيحة خالياً من الركاكة والتعقيد، كما عني بأسلوب جيد في بناء التراجم فأظهر صفات محددة لجميع من أرخ لهم من السلاطين أراد أن يبرزها فيهم ليدفع بها السلطان سليمان نحو أشياء معين تحقق أغراض المؤلف من تأليف كتابه، لكنه في بعض جوانب الكتاب تسجل عليه بعض المآخذ التي يتحمل ناسخ الكتاب جزءاً كبيراً منها.

أولاً: الضبط اللغوي، وسلامة قواعد النحو الإملاء.

كان ابن فهد متقناً للغة للعربية متمكناً من قواعدها لغة ونحواً وصرفاً وبلاغة، يبدو ذلك في جميع مؤلفاته إلا أن كتاب «الجواهر الحسان...» اشتمل على بعض الملحوظات التي تؤخذ عليه، فكتاباته في عمومها تتسم بالضبط اللغوي والسلامة النحوية والصرفية وانتقاء الألفاظ العربية الفصيحة، ومن شدة حرصه على تحديد معنى اللفظ المراد للقارئ دون سواه فقد عني بضبط حروف الكلمة العربية ضبطاً لفظياً مع ذكر وزنها الصرفي ومعناها من أقوال أهل العلم حتى لا ينصرف المعنى إلى كلمة أخري ويتضح المطلوب ويسهل على المطالع فهمها.

فأما عنايته بالضبط اللفظي للكلمات الغربية فواضح ومتعدد في جنبات الكتاب المختلفة من أوله إلى آخره بحيث يذكر حركة كل حرف من حروف الكلمة الغريبة وأحياناً يذكر وزنها الصرفي مع بيان معناها مثل قوله عن النية: «والنِيّة بكسر النون وتشديد التحتانية على المشهور، وفي بعض

اللغات بتخفيفها.... وقوله: بالنيات الباء للمصاحبة، ويحتمل أن تكون للسببية، أعني: أنها مقوِّمة للعمل، فكأنها سبب في إيجاده، وعلى الأول فهي من نفس العمل»[١].

وقوله عن معنى الدنيا: «بضم الدال، وحكي عن ابن قتيبة[٢] كسرها، وهي فُعْلَى من الدّنو أي: القرب ، سميت بذلك لسبقها للأخرى، وقيل: سميت دنيا لدنوِّها من الزوال»[٣].

وفي معنى وَحَرَ الصَّدر قال: «وهو بتحريك الحاء أي؛ غِشَّه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيظ، وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغضب»[٤]، وعن الإِحَنْ قال: «جمع أحنة وهي: الحقد، وعن الضغائن قال: «جمع ضغن وهو الحقد أيضاً»[٥]، وضبط اسم مدينة قَرَمَان قال: «بفتحات، أو بإسكان ثانيها ككرمان»[٦]، وقال عن هرقل: «هِرَقل، بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف»[٧]، وفي حدث النبي صلى الله عليه وسلم: «كيف

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١/ب).

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (٢١٣هـ - ٢٧٦هـ)، عالم وأديب له عدم مؤلفات أشهرها، كتاب: أدب الكاتب، وكتاب: المعارف ، وكتاب: عيون الأخبار. ابن خلكان، أحمد بن محمد (أبو العباس شمس الدين ت:٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،ط١، بيروت، ١٩٩٤م، (٤٢/٣).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/أ، ١٢/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/ب، ٢١/أ).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٧/ب).

يقدَّس الله أمّة لا يُؤخد لضعيفها مِنْ شديدها حقّه غير مُتعْتَــع»[1]. قــال: «يعني بغير مشقة تلحقة»[2]، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «ما وَلِيَ أحدٌ ولايةً إلا بُسِطت له العافية ،فإن قَبِلَها تمَّتْ وأن خفر عنها - يعنــي طلــب العثرات والعورات - فتح له ما لا طاقة له به»[3].

وأما بيانه لمعاني الكلمات الأعجمية فمثل قوله عن الســلطان محمــد الأول الشهير بجلبي: وكان يقال: له في صغره جلبــي، ومعنــاه: ســيدي. ويقال: له أيضاً كرشجي، ومعناه: الوتري، فإن أباه مازحه يوماً قائلاً لــه: ما حالك مع إخوتك بعدي؟ فقال له أخنقهم بالوتر فتم عليه هذا اللقب»[4].

لكن الكمال البشري مطلب ممنوع لغير الأنبياء فقد وقع ابن فهد في بعض الهنات اللغوية فجاء كتابه يشتمل على بعض الأخطاء القليلة حــين اســتخدام بعض الألفاظ غير الفصيحة واعترته بعض الأخطاء اللغوية والنحوية وخالف القواعد الإملائية.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥/٢٥٢-٢٥٣ حديث رقم (٥٢٣٤) بسنده عــن بريدة، ولفظه:(كيف تُقدَّس أُمة لا يأخذ ضعيفها حقّه من شديدها وهــو غيــر مُتعْتَــع)، والحديث قال عنه الألباني صحيح لغيره، الألباني، محمد ناصر الدين: صــحيح الترغيــب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هــ، (٢/٥٢٢).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٨/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٩/أ، ٩٩/ب)، والحديث أخرجه أبو نعــيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هــ):حلية الأولياء وطبقــات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفكر، بيــروت، ١٤١٦هـــ، (٣/٣٥٢-٣٥٣)، وقال: غريب من حديث عمرو تفرد به محمد بن مسلم.

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٧/أ).

فأما عن الأغلاط اللغوية التي ظهرت في الكتاب فهي لا تعدو أن تكون هنات وأخطاء قليلة لغوية أو نحوية أو إملائية مع استخدام بعض الألفاظ الأعجمية أو العامية التي يمكن حصرها في الصفحات التالية.

من أمثلة الأخطاء اللغوية في المخطوط كلمة (ما آربه[١])، وأما الألفاظ العامية التي استخدمها فمنها: (بكليها[٢]، للمسيلة[٣]، جمجمة[٤]، التجاريد[٥]، فأرموا[٦]، الوطاق،[٧] وجنايباً[٨].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/أ)، والصواب (مآربه)، والإرب والمأرب: الحاجة، وجمعها مآرِب. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، (٢٠٨/١).

(٢) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/أ)، والصواب (بكليهما).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/أ)، والصواب (لمسألة).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٣/ب)، وهذه الكلمة عامية أطلاقها العامة في مصر والشام على الأمير جم بن محمد الفاتح الذي خرج على أخيه السلطان بايزيد الثاني فاستقبله السلطان المملوكي قايتباي. أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ، (ص ص ٦٠- ٦٣)، ابن أجا، محمد بن محمود الحلبي (ت ٨٨١هـ): العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، صنعه: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ ، (ص ص ١٨١- ١٨٢).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٦/أ)، و التجاريد: جمع تجريدة، وهي حملة عكسرية تقوم بها هي فرقة الخيالة دون المشاة، تتميز بالخفة والسرعة في تأدية المهام. دهمان، محمد أحمد: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، (ص ٤٢).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٣/أ)، والصواب (فرموا).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٧/ب)، والوطاق، كملة تركية أصلها أوتاق، بمعنى الخيمة الكبيرة. الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة، (ص ٤٤٢-٤٤٣).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٧/ب)، الجنايب: جمع جنْب وهي الخيول الاحتياطية التي ترافق السلطان في سفره، وتستعمل أيضاً بمعنى الحرس المرافق. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ص ٥٥).

ومن الأغلاط النحوية والصرفية التي وقع فيها ابن فهد فهي قليلة يمكن أن نجمع منها قوله: «من القبائح الذي يعم بها الضرر»[١]، وقوله: «يعمل لي أعواد للمنبر»[٢]، وقوله: «ويوجد في سائر مملكته بيوت مُعَّده للواردين»[٣]، وقوله: «استمر هذا الملِك خمسة عشر سنة»[٤]، وقوله: «وراسله كل من حكامها، وأعيان الجهات وأمرايها»[٥]، وقوله: «السلطان بن السلطان»[٦]، وقوله: « إلى أن وصلت جلبتين[٧] مشحونتين »[٨].

وأما الأخطاء الإملائية فمنها قوله: «من المصيف» [٩]، و«حين كونه بمكة»[١٠]، و«الخوارج الصوفية»[١١]، و«وفتح أراضي قسطينة»[١٢]،

---

(١) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٦/ب)، والصواب (من القبائح التي يعم بها الضرر).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٧/أ)، والصواب (يعمل لي أعواداً للمنبر).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/ب) والصواب (بيوتاً مُعَّدة للواردين).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٧/أ)، والصواب (استمر هذا الملِك خمس عشرة سنة).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٩/ب)، والصواب (أمراؤها).

(٦) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥/ب)، والصواب (ابن) فلا تحذف همزة ابن إذا لم تأت بين علمين الثاني منهما والد للأول، وعكس هذا الخطأ جاءت كلمة (ابن) في لوحة (١٢٤/ب)، والصواب (بن).

(٧) الجَلْبة أو المجلوبة ما يجلب من مكان ويرسل إلى مكان آخر من كل أنواع البضائع، والمقصود سفينتين مشحونتين بالسلع، ابن منظور: لسان العرب، (٢٦٨/١) .

(٨) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٣/أ)، والصواب (إلى أن وصلت جلبتان مشحونتان) بالرفع.

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٧/أ)، والصواب (من المضيق).

(١٠) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٦/ب)، والصواب (حين كان بمكة).

(١١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/أ)، والصواب (الخوارج الصفوية).

(١٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٣/أ)، والصواب (وفتح أراضي قسطنطينية).

و«اطربت مملكة الروم»[١]، و«الأفوا»[٢]، و«أفرنصا»[٣]، و«أخـوي»[٤]، و«وهيت»[٥]، و«رأواه»[٦]، و«كالمطرز المدار»[٧]، و«سـبباً لهلكهـم»[٨]، و«معقوي»[٩]، و«وبقوا كالعـذاب»[١٠]، و«أمرايهـا»[١١]، و«قـراه»[١٢]، و«رئيس الروسا»[١٣]، و«ارآ»[١٤]، و«والعناد[١٥]، و«فقـال أنكـم أقـرب نسباً»[١٦]، و«ولاوى المدينة»[١٧].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٧/أ)، والصـواب (اضـطَّربت مملكـة الروم).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٠/أ)، والصواب (الإقواء).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٤/ب)، والصواب (فرنسا).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٤/ب)، والصواب (أخي).
(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٠/أ)، والصواب (وهُيأت درجات الجنان).
(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٢/ب)، والصواب (رأوا).
(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٦/ب)، والصواب (كالمطر المدرار).
(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٦/ب)، والصواب (سبباً لهلاكهم).
(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥١/ب)، والصواب (معقودي).
(١٠) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٤/أ)، والصواب (وبقوا في العذاب).
(١١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٩/ب)، والصواب (أمراؤها).
(١٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٢/أ)، والصواب (قراءة).
(١٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٤/أ)، والصواب (رئيس الرؤساء).
(١٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٤/ب)، والصواب (آراء).
(١٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٥/ب)، والصواب (والعباد).
(١٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨١/أ)، والصواب (فقال أيكم أقرب نسباً). كما جاء في تفسير ابن كثير. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشـي الدمشـقي (ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، (٣٠٤/٦).
(١٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١١/ب)، والصواب (ولأواء المدينة) من الشدة وضيق المعيشة. ابن منظور: لسان العرب ٢٣٨/١٥.

وهناك بعض الملاحظات الأسلوبية القليلة في ترتيب الجملة عند ابن فهد في هذا الكتاب منها تقديم وتأخير عناصر الجملة العربية مثل قوله: «يحضهم على الإيمان الذي الدين به يقوم»[1]، وقوله: «الضياع التي المعايش بها تقوم»[2]، وقوله: «تسكينا للفتنة التي العاقل فيها لا يمتري»[3].

والجدير بالذكر أن أغلب ما سبق من أخطاء لا يطمئن القلب إلى نسبتها للمؤلف الذي اشتهر بثقافته الواسعة، فمستواه العلمي أرفع من أن يقع في هذه البديهيات اللغوية أو النحوية والإملائية، ولا أجد له مخرجاً من ذلك إلا أن تكون هذه الأغلاط جاءت من جهة الناسخ، فقد يكون محدود الثقافة قليل المعرفة الأمر الذي أوقعه في هذه الهنات لا سيما الأخطاء الواضحة أثناء النقل من المصادر والتي بدت للباحث بسهولة عند مقارنتها بالأصول التي استقاها المؤلف منها، أما الألفاظ العامية أو الأعجمية فلا دخل للناسخ بها.

ومن الألفاظ الأعجمية التي استخدمها ما يعود إلى أصل تركي أو فارسي أو هندي، وأغلبها ألقاب للسلاطين أو أسماء للوظائف و الرتب العسكرية وغير ذلك من الكلمات والمصطلحات التي أوردها في ثنايا كتابه، وقد فسر ابن فهد بعضها وترك أكثرها دون بيان معناه، فأما الألفاظ التي

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٥/ب)، والصواب «يحضهم على الإيمان الذي يقوم به الدين ».

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٠/ب)، والصواب « الضياع التي تقوم بها المعايش».

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٤/أ)، والصواب «تسكينا للفتنة التي لا يمتري العاقل فيها »

ذكرها قرينة معناها فمثل: «يلدرم»[١] الذي تلقب به السلطان بايزيد الأول، قال ابن فهد «وهو باللغة التركية اسم البرق»[٢]، وكلمة «جُق، قال «ومعناه البرق» أيضاً[٣].

وهناك ألفاظ أخرى ذكرها دون توضيح معناها مثل: «اللكوك»[٤]، و«الخنكار»[٥]، و«البيمارستان»[٦]، و«قرال»[٧]، و«الدَّوادار»[٨]،

---

(١) يلدرم: لفظة تركية بمعنى البرق أو الصاعقة وهي من ألقاب بايزيد الأول رابع سلاطين العثمانيين تكنى بها لخفة حركته وسرعة انقضاضه على أعدائه حيث كان ينزل عليهم نزول الصاعقة. السخاوي: الضوء اللامع ، (١٤٨/١١) ؛ حليم، إبراهيم بك: تاريخ الدولة العثمانية العلية ، المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (ص ٦٧).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/ب).

(٤) ذكرها ابن فهد مرتين، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب، ١٩ / أ). وهي كلمة هندية مشتقة من اللّكّ: وهو عدد، مقداره مائة ألف، وجمعه لكوك. دهمان: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ،(ص ٣٨٠)، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط ٤، ١٤٢٥هـ، (ص ٨٣٧).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/ب)، والخنكار من ألقاب السلاطين العثمانيين، أصلها تركية، وتعني سعيد الحظ، والموفق. الباشا: الألقاب الإسلامية، ص ٣٢، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ ، (ص ١٠٥).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب)، والبيمارستان من الألفاظ الفارسية، يتكون من مقطعين، بيمار: بمعنى مريض، وستان: بمعنى مكان، فيكون معناه مكان معالجة المرضى وإقامتهم، دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ص ٤١).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/ب)، وقرال لفظ تركي معناه ملك، يجمع على قرالات. الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، (ص ٣٤٩).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ب)، و الدَّوادار كلمة من أصل فارسي تتكون من مقطعية دوا وهي دواة الحبر ودار بمعنى صاحب فيكون الدوادار هو الذي يحمل دواة السلطان، ثم أصبحت الداوادارية وظيفة يقوم صاحبها بنقل الرسائل والأوامر عن السلطان. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، (ص ٧٧).

و«آق»[1]، و«الجانبكيـــــة»[2]، و«الأســـــتدارية»[3]، و«زَبــــرْت»[4]، و«سناجقه»[5]، و«أمير آخور»[6]، و«الينكي و«شاريَّة»[7]، و«بندر»[8]،

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ب)، وآق لفظ تركي معنـاه أبـيض، وتستخدم لتسمية الأماكن: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانيـة، تحقيـق: إحسان حقي، دار النفائس، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ه /١٩٨٣م، (ص ١٥٩، هامش ١).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٥/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٦/ب)، الأستدارية: كلمة أعجمية تتكـون من مقطعين أستاذ دار يعني المشرف على الدار، ثم أصبحت فـي العصـرين السـلجوقي والعثماني وظيفة خاصة بدار السلطنة، يشرف متوليها على بيوت السلطان بما فيهـا مـن المطابخ والمخابز والشراب والحاشية والغلمان ويقف على السماط، مجهول، أخبار سلاجقة الروم (مختصر سلجوقنامه)، تعريب: محمد سعيد، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، (١٩٥،٢٤٨)؛ دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٤، الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (ص ٢٧).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٢/ب)، و زبرْتُ: أي كتبت. محمـد بـن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختـار الصـحاح ، مكتبـة لبنـان، بيـروت، ١٩٨٦م، (ص٩٢).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥١/ب)، والسناجق: جمع سـنجق ، وهـو لفظ تركي فارسي معناه: علم أو راية. الخطيب: معجم المصطلحات والألقـاب التاريخيـة ،(ص ٢٥٩).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٤/ب)، و كلمة أمير آخور تركيـة تـدل على وظيفة المشرف المتولي لاصطبل السلطان وخيوله، مجهول: مختصر سـلجوقنامه، ص٥٤؛ القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تحقيق: يوسف علـي طويل، ط١، دار الفكر، دمشق١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (١٩/٤).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٥/أ)، والانكشارية: كلمة تركية معناهـا العسكر الجديد، وهو جيش من المشاة أسس في عهد السلطان أورخان بن عثمان، وظلـوا عماد الدولة حتى تمردوا على السلطان محمود الثاني فقضـى علـيهم. صـابان: المعجـم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (ص ٤١).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٠/ب)، وبندر كلمة فارسية بمعنى الميناء أو المدينة الساحلية، استخدمها العثمانيون ودخلت عن طريقهم العربية، ومنها شـاه بنـدر التجار يعني كبير تجار البندر على اعتبار أن التجارة تروج حول الموانئ أكثر من غيرها. الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، (ص ٨٧).

و«رساتيق»(١)، و«الخاصّكي»(٢)، و«الخوانك»(٣).

والحقيقة أن ابن فهد معذور في استخدام بعض الألفاظ التـي لا يسـع مؤرخ يكتب عن العصر العثماني أن يتركها خاصة ألقاب لسلاطين الـذين يترجم لهم وصفاتهم، أو أسماء بعض الوظائف لكن المأخذ عليه هو عـدم بيان معناها بياناً شافيًا لمن يطلع على كتابه من القراء العـرب الـذين لا يجيدون اللغة التركية أو الفارسية.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٨/ب)، والرستاق جمع رسـاتيق، وهـي كلمة أعجمية مُعربة تطلق على الناحية من طرف الإقليم، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيـق: عبـد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (ص ٢٢٦).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٤/أ)، و الخاصكية كلمة أعجمية تـدل على الملكية الخاصة أطلقت العصر المملوكي ثم العصر العثماني على الحـرس الخـاص للسلطان وأهم ما يميزهم أنهم يدخلون على السلطان في خلواته وأوقات فراغـه يختصـون بذلك دون غيرهم من المماليك. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ص ٦٦).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢١/أ)، والخوانك: كلمة فارسية مفرهـا خانقاه، بمعنى الأربطة، وهي الأماكن المعدة للزهاد من الصوفية ، يقرأون فيهـا الأذكـار والأوردة ظهرت في القرن الخامس الهجري، ويطلق على الرباط خانقاه، وكانـت مقسـمة إلى أماكن مخصصة للعبادة وأخرى للطعام والنوم. المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري (٧٦٠- ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعـروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم، و مديحة الشرقاوي، مكتبـة مـدبولي، القـاهرة، ١٩٩٨م، (٥٦٧/٣)، الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القـاموس، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، (٢٧٠/٢٥)؛ الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص (١٥٨).

ثانياً: الأسلوب الأدبي (السجع، المبالغات).

غلب على الكتابة التاريخية عند العرب خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) الركاكة في الأسلوب(١)، غير أن ابن فهد وهو المثقف الذي ينتمي إلى أسرة علمية تمتلك أدوات البحث ومصادره ألف كتابه «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان»، بأسلوب نثري بليغ لا تكلف فيه، يتسم بالسهولة والوضوح والبعد عن الغرابة والتعقيد، لغته مفهومة وعباراته موجزة وألفاظه في أغلبها متداولة بين مؤرخي زمانه، مطابقة لأسلوب عصره، يجمع بين محتوى التاريخ ومظاهر الأدب مبتعداً عن التعقيد اللفظي والألفاظ الغريبة ويصوغ عباراته لتعبر عما يريد من أقرب طريق، غير أنه أصابه ما أصاب معاصريه من اصطناع بعض الزخارف اللفظية، والوقوع في بعض الألفاظ العامية والكلمات الأعجمية.

حيث ذكر جب أن الأسلوب الشائع في الكتابة التاريخية عند المسلمين في تلك الفترة هو الأسلوب الأدبي المنمق الذي تمتزج فيه الرواية التاريخية بالعواطف الأدبية؛ لأن هذا الأسلوب غالباً ما يلق القبول في نفوس الناس(٢).

اللهم إلا في بعض المواضع جنح فيها ابن فهد عن هذا الأسلوب إلى بعض الألفاظ المعقدة التي فرضتها عليه الصياغة اللفظية التي وضع كتابه في قوالبها أو نقلها من مصادره بلغتها حفاظاً على ألفاظها ومعانيها من

---

(١) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٢).

(٢) جب: علم التاريخ، مرجع سابق، (ص ص ٩٧، ٩٨).

ذلك قوله عن شيخ القراء الشمس ابن الجزري: «الغابِق[1] في علومه»[2]، وقوله عن النظام القضائي في عهد السلطان مراد الأول ٧٦١ – ٧٩١هـ (١٣٦٠– ١٣٨٨م): «وجعل سائر الأمور معدوقة[3] بقضاة الشرع»[4]، وقوله عن قتال العثمانيين للصفويين في معركة شالديران ٩١٦هـ (١٥١٤م) [5]: «فقاتلوا العدو المخذول، بالسلاهب المجنّبة[6]، والقواضب[7] المقرّبة، والصواهب المجعّبة» [8]، وقوله: «وناشهم النشاب»[9]، وقوله عن

---

(١) غبق: يغبق غبقاً فهو غَابِق. والغبوق: هو ما يُشرب في العشي. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، (٢/١٥٩٣).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب).

(٣) معدوقة: مربوطة ومجموعة، من باب عدق: أي جمع. يعني أن الفصل في الخصومات متصل مباشرة بالنظام القضائي دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي: (ص ١٤٢).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٠/ب).

(٥) شالديران: تقع في شرق الأناضول إلى الجنوب من مدينة قارص. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية،(ص: ١٩٠، هامش ٢)، فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة أقرأ، ط٢٧، ١٤١٤هـ، (ص: ١٥٢).

(٦) السلاهب المجنبة: السلاهب جمع سلهب أي الطويل وهي الرماح الموصوفة بطولها وحدة جانبيها، ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد الصالحي (ت ٩٥٣هـ): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (ص ٣٥٦ هامش(٢).

(٧) القواضب جمع قضيب: وهو السيف. ابن منظور: لسان العرب، (١/٦٧٩).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٠/ب).

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٢/أ)، وناشهم يعني أصابهم والنشاب السهام، وهي من أدوات الحرب والصيد عند العرب، ابن منظور، لسان العرب، (١/٧٥٧)؛ الزبيدي: تاج العروس،(٢/٤٣١).

سرعة تحصيل سليمان القانوني العلوم: «وساعياً في اقتناصها من كل فج ولَقَم»[١]، وهذه الألفاظ وإن كانت فصيحة إلا أنها غريبة وغير مشهورة.

وبخلاف ما سبق من ملحوظات على لغة ابن فهد فإنه قد جنح إلى المبالغة في المدح والترصيع في الأسلوب، غير أنه لا يمكن أن نهون من شأن مؤرخ يتبع هذا الأسلوب فمن وراء ذلك السجع والمبالغات التي يفيض بهما كتاب ابن فهد وغيره من المؤلفات التي اتبع أصحابها هذا النمط في الكتابة التاريخية تفصيلات ذات قيمة تاريخية عالية.

والواضح أنه تأثر بأسلوب من ينقل عنهم فتضمن أسلوبه أنواعًا من المحسنات اللفظية مثل الكناية والجناس والسجع والمجاز والاستعارة والمطابقة والمقابلة وغير ذلك من المحسنات التي كثرت في التراجم والمناقب واتسمت بها الكتابة الأدبية التاريخية في تلك الفترة وما قبلها.

فمن الأمثلة على هذا الأسلوب قوله في المقدمة عن السلطان سليمان: «ذو الأصل الراسخ، والفرع الشامخ ، والمجد الباذخ، مَنْ جمع الله له بين صفتي الشجاعة والكرم، وخصّه بفضيلتي السيف والقلم، الغني عن الإِطناب، في الصفات والألقاب»[٢].

فبهذا الأسلوب المنمق بعبارات نثرية قصيرة مقفاه عدد ابن فهد مناقب السلطان سليمان فعند الكلام عن مولده قال: «ولد في أول القرن العاشر[٣]،

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/ب)، واللَّقَمُ: هو مُعْظم الطريق أو وسطه. ابن منظور: لسان العرب (٥٤٦/١٢-٥٤٧).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥/أ).

(٣) كان مولده في شعبان ٩٠٠هـ (مايو ١٤٩٥م). محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، (ص ١٩٨).

ونشأ في كنف والديه عزيزاً معظماً مهاباً مكرماً، فحفظ القرآن الشـريف، وغيره من كتب العلم المنيف، وأخذ عن جماعة مـن المشـائخ، أصـحاب المعقول والعلم الراسخ، في العلوم الشرعية، والمباحـث العقليـة، وتعلـم الشجاعة والفروسية، والكرم والجود والأسوديّ»[1].

ومن ذلك استخدام أسلوب التورية في قوله: «ولا بَرِحَتْ كلمة الإيمان بوجوده حسنة التدبير، وحيزة الحرم الشريف، مجموعة الشـمل بسـلطانه جمع سلامة لا جمع تكسير»[2].

ووصفه للقاء العثمانيين بالصفويين في شالديران ٩١٦هـــ (١٥١٤م): «وبات الإسلام للكفر مقابلاً، والرشد للرفض مقـاتلاً، والهُـدى للضـلال مراقباً، والحق للباطل محارباً، وهيأت دركات النيران، وهُيـأت درجـات الجنان، وانتظر مالك واستبشر رضوان» [3].

لكن الزيادة في هذه الأمور يوقع المؤرخ أحياناً في الحياد عن الواقعية التي تتلاشى أمام حرصه على مداعبة الألفاظ والتراكيب للتأثير في نفـس القارئ، حتى ذهب البعض إلى وجود علاقة عكسية بين الصدق والواقعيـة وبين الإغراق في الإبداع الفني فكلما ازداد المؤرخ إبـداعاً فـي أسـلوبه الأدبي قل اطمئناننا إليه وشككنا في عدالته فما يقتضيه الذوق الفني قـد لا يتفق مع الحقيقة التاريخية[4].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/ب، ٦٤/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٠/أ).

(٤) أسد رستم: مصطلح التاريخ، مركز تراث للبحـوث والدراسـات، الطبعـة الأولـى، القاهرة، صفر ١٤٣٦هـ / ديسمبر ٢٠١٤م، (ص ص ١٣٣، ١٣٤).

والواقع أن المؤرخ الجيد يستطيع أن يكون دقيقاً في كلامه واستنتاجه وفي الوقت نفسه جذاباً في لغته وأسلوبه.

وأما أسلوب ابن فهد في الجواهر فقد اتسم ببعض السمات منها:

- تمتاز لغته بالسهولة والوضوح والتوافق مع أسلوب عصره الأدبي الذي يجمع بين محتوى التاريخ ومظاهر الأدب في وقت واحد.
- مع إتقانه للغة العربية اعترته بعض الأخطاء النحوية واللغوية والألفاظ العامية والمفردات الدخيلة على العربية من التركية أو الفارسية.
- التزامه ببعض خصائص أسلوب الكتابة في عصره والذي يميل إلى استخدام المحسنات اللفظية.
- اجتهد في تلوين أسلوب العرض فكان يستهل فقراته بعبارات مختلفة متنوعة منها: والحاصل، واعلم، وأما، وكما، إلى آخر هذه الكلمات التي تعمد فيها التغيير أثناء العرض.

ثالثاً: أسلوبه في بناء الترجمة.

أسفرت طبيعة الكتاب وقلة عدد المترجم لهم فيه عن إتاحة الفرصة للمؤلف أن يتخذ منهجاً موحداً يضم المطلوب غالباً من عناصر الترجمة كالاسم وتوابعه، واللقب والسن عند تولية السلطنة(١) واسم الأب والجد حتى يصل به في كل مرة إلى الجد المؤسس عثمان الأول، مع التركيز على إبراز جوانب محددة من صفات ومناقب المترجم لهم، فطبيعة الكتاب وسبب وتأليفه ومكانة السلاطين المترجم جعلت ابن فهد يحرص على إبراز

---

(١) حدد ابن فهد سن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح عند توليته بقوله:{وقد زاحم من العمر أربعين}، وهو موافق لما عند شيخه السخاوي. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ب)، السخاوي: الضوء اللامع (١٤٧/١١).

جوانب محددة وصفات ثابتة في تراجمه للسلاطين لإظهار أساسيات مناقبهم، ومن هذه الصفات.

١- صفات الشجاعة والإقدام في ساحات الجهاد مع تسجيل الانتصارات في الخارج وتحقيق الأمن في الداخل.

٢- إبراز جانب البذل والعطاء لا سيما الإنفاق على العلماء وطلاب العلم.

٣- حماية الحرمين الشريفين وعمارتهما وتقديم العطايا للمجاورين لهما.

٤- التركيز على ثقافة السلاطين وما يحوزه كل واحد منهم من علوم.

٥- بيان الذكاء القيادي والحنكة السياسية مع حسن التدبير.

٦- صفات تحقيق العدل بين الرعية.

٧- إظهار جهود السلاطين في الجانب الحضاري مثل عمارة المساجد والقصور والمدارس وغيرها في طول السلطنة وعرضها.

وقد استخدم ابن فهد عبارات متقاربة لتأدية هذه المعاني وإبراز تلك الصفات في جميع التراجم، فعن صفات الشجاعة والتفاني في الفتح والجهاد يعبر بقوله: «كهف الغزاة والمجاهدين»(١) التي وصف بها السلاطين

---

(١) الكهف هو الملجأ أو البيت المنقور في الجبل، وقد استعارها ابن فهد لوصف السلاطين المجاهدين خاصة الذين يخرجون مع الجنود في ساحات الوغى فالواحد منهم من قوته وشدة بأسه يصبح وكأنه كهفاً يحتمي به من معه من الجنود إذا حمي الوطيس، ومن كثرة استخدام هذا الوصف أصبح من ألقاب سلاطين الدولة العثمانية. الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٤٠٩هـ، (ص٤٤٠)، بركات، مصطفى: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، (ص٣٢٧).

سليمان القانوني[١]، وسليم الأول ٩١٨ - ٩٢٦ هـ (١٥١٢- ١٥٢٠م)[٢]، وبايزيد الثاني ٨٨٦ – ٩١٨هـ (١٤٨١- ١٥١٤م)[٣]، والسلطان محمد الفاتح[٤]٨٥٥ - ٨٨٦ هـ (١٤٥١- ١٤٨١م)[٥]، وأما السلطان مراد الثاني ٨٢٤ – ٨٥٥هـ (١٤٢١- ١٤٥١م) فقد وصفه بقوله: «نصرة الغزاة والمجاهدين»[٦]، ثم وصف السلطان محمد الأول بقوله: «مبيد الكفرة اللئام»[٧]، وأما السلطان بايزيد الأول ٧٩١ – ٨٠٤ هـ (١٣٨٩ – ١٤٠٢م) (الصاعقة) فقال عنه: «واشتهر بالجهاد في الكفار، حتى بعُد صيِته في الممالك والأقطار، وأكثر من الغزو في تأييد الإسلام ، وأظهر ذل الكفرة اللئام»[٨].

ثم أشاد بحمايتهم بلاد السلمين وحوزة الدين من غدر المعتدين بأوصاف تدل على هذا المعنى اختص بها بعض السلاطين مثل قوله عن كل من سليم الأول[٩] وابنه سليمان[١٠]: «حامي حوزة الدين»[١١]، وأما

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥/ب).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/أ).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).
(٥) للمزيد عن السلطان محمد الفاتح. يراجع: سالم الرشيدي: محمد الفاتح، القاهرة، ١٣٧٥هـ، د. سيد رضوان على: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوربا الشرقية، الدار لسعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).
(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/أ).
(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب).
(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٧/أ).
(١٠) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).
(١١) حوزة الدين: الحوزة هي الناحية، والمراد المدافع عن بلاد المسلمين ودينهم. الباشا: الألقاب الإسلامية، (ص ٢٥٥).

السلطان بايزيد الثاني فقال عنه: «حامي ثغور[1] بلاد المسلمين»[2]، وكذلك السلطان محمد الفاتح وصفه بـــ «حامي بلاد المسلمين»[3].

كذلك اعتنى ابن فهد بصفات السلاطين المتعلقة بالعطاء والنفقة ومـــدح فيهم جانب البذل للمجاورين حيث يرسلون الهبات ويصــــرفون المرتبـــات والصرة لأهل الحرمين الشريفين وكان غرضه من ذلـــك أن يبـــرز هـــذا الجانب من أخلاق السلاطين السابقين حتى يكونـــوا قـــدوة للاحقـــين مـــن السلاطين والحاشية ليحصد من كريم بذلهم له ولأهل مكة ممـــن أصــــابهم العوز.

ومن هذه العبارات والأوصاف التي وصف بها السلطان سليمان قوله: «الباذل للعفاة جوده قبل السؤال، والفاتك في أمواله باليمين والشمال.

ملـــك يجـــود بمالـــه لعفاتـــه قبل السؤال فياله من باذل»[4]

وقاله عنه أيضاً: «راعياً لأهل الحرمين، وباذلاً نفيس أموالك لســـكان المَحَلَّين المَنيفين»[5]، وقوله «الباذل في مرضات الله اللكـــوك[6]»، وقولـــه

(١) الثغور: جمع ثغر وهو البلد الواقع على حدود الدولة الإسلامية المتاخمة لـــبلاد العـــدو على خط الجهاد، وحمايتها من أجل مفاخر المسلمين والتفريط فيها مفتاح للتفريط فيما بعدها من البلاد. الباشا: الألقاب الإسلامية، (ص٢٥٣).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٩/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٩/ أ). واللكوك: كلمة من أصول هنديـــة مشتقة من اللّكّ: وهو عدد، مقداره مائة ألف، دهمـــان: معجـــم المصـــطلحات والألقـــاب التاريخية في العصر المملوكي، ص ٣٨٠، مجمع اللغة العربية: المعجـــم الوســـيط، (ص ٨٣٧).

عنه: «وفي موسم ولايته[١] أرسل مع الحجاج لأهل الحرمين الشريفين، وسكان المحلين المنيفين، صدقاته المشهورة، ومرتباته المشكورة المبرورة»[٢].

وأما بايزيد الثاني ووالده محمد الفاتح فوصفهما بقوله: « وكلاً سلك طريقه الجلي، في تعظيمه العلماء والفضلاء، والواردين عليه وغيرهم من الأدباء النبلاء، حتى كثر مسير الجمِّ الغفير من أهل الحرمين وغيرهما إليه، ثم يرجعون بما يسرّهم، ويدفع عنهم ما يضرهم»[٣]، ثم أفرد بايزيد الثاني ٨٨٦ – ٩١٨هـ (١٤٨١- ١٥١٤م) بعبارة: «وصدقاته لأهل الحرمين واصلة، وصِلاته متواصلة»[٤].

كذا أشاد ابن فهد باهتمام السلاطين وتعظيمهم وعمارتهم للحرمين الشريفين، وأما عن إضافة خدمتهما لألقابهم السلطانية، فخص بها السلطان سليمان القانوني وأبيه سليم الأول فهو أول من أضاف لقب خدمة الحرمين[٥] حتى صارت من مناقبه المحمودة وأوصافه التي ورَّثها من أتى بعده من السلاطين يقول ابن فهد عن سليم الأول عندما ضم بلاد الحجاز بعد الشام ومصر: «ووُصِف بملِك البرّين والبحرين، وخادم الحرمين

(١) يقصد ولايته أميراً على أدرنة من قبل أبيه سليم الأول. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٣٨/ أ، ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٨/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ ب، ٣٣/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٣/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٥/ب).

الشريفين »[١]، ثم وصف من بعده ابنه السلطان سليمان بـــلقب: «حـــامي حمى الحرمين الشريفين»[٢].

وأما صفات تحقيق العدل فيعبر عنها ابن فهد بعدة عبارات كان نصيب السلطان سليمان القانوني هو الأكثر منها حيث استهل وصفه بقوله: «وأنــت بحمد الله تعالى قد اجتمع فيك خصال كل ملك عادل مجاهد»[٣]، ووصفه بعد ذلك بعدة أوصاف منها: «ممهِّد قواعد العدل والإحسان»[٤]، و«وأينع زهــر العدل بوجودك»[٥]، و«هو متلبس به من العدل»[٦]، وقوله: «وأعظم العدل في العالمين»[٧]، وقوله: «المتلبس بأعظم العدل في العالمين»[٨]، وقولــه: «كم نظم سهل الرعايا بالعدل»[٩] ثم ختم الكلام عنه ببيان فضـيلة العــدل مستشهداً بآيات القرآن الكريم والسنة النبويـــة المطهــرة وبعــض أقــوال السلف[١٠]، ثم قال عن السلطان الثاني ووالده محمــد الأول «ناشــر لــواء

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٩/ب).

(٢) هذا الوصف للسلطان سليمان ووالده سليم الأول. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥/أ، ٥/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٨/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٩/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٨/ب).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٧/أ).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٨/أ).

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٨/ب).

(١٠) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٩/ أ، ١١٩/ب).

العدل في العالمين»[1]، وأما محمد الفاتح فقد قال عنه: «محيي مراسم العدل والإحسان»[2]، وأما السلطان أورخان بن عثمان ٧٢٦ – ٧٦١هـ (١٣٢٦–١٣٦٠م)، فوصفه بـ: «السالك في طريقه العدل والإحسان»[3]، وأما عثمان الأول ٦٩٩– ٧٢٦ هـ (١٣٠٠ – ١٣٢٦م)، فجاء وصفه بعبارة: «وأظهر العدل في الرعية»[4]، وعبارة: «ينشر العدل في رعيتهِ»[5]، وأما مراد الأول فوصفه ابن فهد بـ: «وأخذ في إظهار العدل»[6]، وقوله: «مع إظهار العدل»[7].

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/ب)، ومما يجدر ذكره أن سياسة «أورخان» امتازت بالعدل والضرب على يد الظالم واتصف بلين الطبع والشفقة والمروءة والرأفة، عامل الأهالي معاملة حسنة، وغلبت عليه روح التسامح وتقرب من الرعية بالشفقة، كان يحب الفقراء ويحترم مشاعرهم حتى لم يبق في أواخر عهده فقير في ربوع الدولة يحتاج إلى الزكاة. أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م،(ص: ٦٣)، أماني جعفر المغازي: الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، «عرض ونقد وتحليل»، الأعمال الثقافية، ط ١، جدة، السعودية، ١٤٣٣هـ، (ص: ٣٥٦).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٢/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٣/أ، ٢٣/ب).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٣/أ).

ومن ذلك جلوس السلاطين للنظر في المظالم فحكى عن بايزيد: «أنــه كان في أول النهار يجلس في براح مُتّسع ويقف الناس بعيداً منه، بحيث أنه يراهم، فمن كانت له ظلامة رُفع إليه» [1].

وأما عن عناية السلاطين بالعلم والعلماء وثقافتهم الشخصية وتحصيلهم العلمي فقد نوه ابن فهد وأشاد بكل سلطان على حدة معــدداً العلــوم التــي درسها والكتب التي قرأها بداية من السلطان عثمان الذي قال عنه: «وقرَّب العلماء والصالحين»[2]، ومن بعده السلطان مراد الأول الذي قــال عنــه: «صاحب السيف والقلم»[3]، فلم ينس العلم مع اشتغاله بمجاهدة العدو، ومن ذلك قوله عن محمد جلبي بن بايزيد الأول ٨١٦ – ٨٢٤ هــ / (١٤١٣-١٤٢١م): «كل هذا مع حرصه على الاستفادة، ومصه مــن ثــدي علمــاء الروم ما ترقّى به وزيادة»[4]، وقوله عن ابنه مراد الثاني بن محمد الأول: « اقتفى أثر سلفه في تعظيم أولي العلم والإفادة»[5]، وأما محمد الفاتح فكان «موصوفاً بمُزاحمة العلماء ورغبته في لقائهم، وتعظيم مــن يــرد عليــه منهم»[6]، ومدح في بايزيد الثاني بن محمــد الفــاتح: «تقريــره لوظــائف بالمسجد النبوي من تدريس، وقراءة للحديث كالبخاري والشفا[7]، وغير ذلك

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٦/ب، ٧/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/أ).

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للقاضي عياض.

من التأسيس»[١]، وعن ثقافته وتحصيله قال: «وزاد على أبيه في الإقبال على العلم من الفقه كالهداية[٢]، وحديث كالمشارق للصغاني[٣]، وقرأ في شرح المواقف، وفي المقامات ومقدماتها من كتب الأدب[٤]، وربما نظم بالفارسي والعربي، إلى غيرها مما قدَّمته»[٥]، حتى صار يباري علماء عصره كما ذكر ابن فهد: «والمجاري لعلمائه في علوم الأوائل، ولحملة الشرع الشريف بالعزم الأشد»[٦]، وأما عن علاقته بالعلماء قال: «كريماً محباً للعلماء والصلحاء»[٧]، وكان السلطان سليم الأول محباً للعلماء وفي أثناء حروبه لضم بلاد الشام ومصر «كان صحبته جماعة من العلماء الأعلام»[٨].

وأما السلطان سليمان فقد فصل القول عن نشأته العلمية عند الترجمة له بقوله: «ولد في أول القرن العاشر، ونشأ في كنف والديه عزيزاً معظماً مهاباً مكرماً، فحفظ القرآن الشريف، وغيره من كتب العلم المنيف، وأخذ

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٣/أ).

(٢) الهداية شرح بداية المبتدى، لبرهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني (ت ٥٩٣هـ).

(٣) مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين، لأبي الفضائل الحسن بن محمد الصغاني، (ت ٦٥٠هـ). الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، (٢٣/٢٨٢-٢٨٤).

(٤) السخاوي: الضوء اللامع (١١/١٤٨).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٣/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/أ).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/ب).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٠/أ).

عن جماعة من المشائخ، أصحاب المعقول والعلم الراسخ، في العلوم الشرعية، والمباحث العقلية»(١)، وعن تكريمه للعلماء قال ابن فهد: «كان زائد الإكرام للعلماء، سيَّما الوافدين عليه بقصد الانتماء»(٢).

كما اعتنى ابن فهد ببيان ذكاء السلاطين القيادي وحنكتهم السياسية وحسن تدبيرهم وإدارتهم للأمور ضمن مناقبهم التي جمعها في الكتاب، ومن العبارات التي عبر بها عن هذه الصفات قوله: عن السلطان بايزيد بن محمد: «ذي التدبير الثَّاقب، والرأي السَّديد الصَّائب»(٣)، وقوله: «ولما استقر أبو يزيد فيها، أربى على سلفه إحسانا وتنبها،...وتدبراً للمصالح وعقلاً»(٤).

وأما الجانب الحضاري فقد اهتم بعمارة المساجد والمستشفيات والمدارس وبناء السفن الحربية وتشييد الحصون والقلاع وبيوت ضيافة عابري السبيل وإبراز كل ما من شأنه أن يضفي هالة من الأبهة على السلاطين حيث استفاض ابن فهد في ذكر جهود السلاطين في ذلك فأشاد بالسلطان بايزيد الأول بقوله: «وعمَّر جامع برصا لا بقصد المفاخرة، ورخَّم باطنه وظاهره، وجعل الماء في صحنه المحكم الماكن، ينزل منه فيجري في عدَّة أماكن، بل عمَّر البيمارستان بإتقان، وأنشأ ثلاثمائة غراب(٥)، وملأها بالأزودة والأسلحة البديعة الانتخاب»(٦).

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/أ، ٦٣/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/أ).

(٥) الغراب نوع من السفن الحربية. دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ص ١١٥).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٤/ب، ٩٢/أ).

وقال: « ويوجد في سائر مملكته بيوتا مُعَّدة للواردين، بها من اللحم والطعام والخُبز ما يقوم بحال الوارد مُدّة إقامته»(١).

كما نوه بجهود السلطان مراد الثاني الذي «أنشاء باستنبول جامعاً، ومدرسة سماها دار الحديث...، بل له مسجد بخُطْبه(٢)، وآخر بدونها(٣)...، وفي الغلطة(٤) تجاهها مسجداً...، إلى غيرها من الدور»(٥)، وأما السلطان محمد الفاتح(٦) فقال عنه: «له مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع منيرة»(٧).

كذلك تفاخر بما يمتلكه السلاطين من آلات كانت في وقتهم نادرة مثل آلة التوقيت الخاصة بالسلطان بايزيد الأول قال: «وكانت عنده آلة إذا

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/ب).

(٢) يعني أنه جامع كبير تقام فيه خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات الجامعة.

(٣) يعني أنه مسجد صغير لا يتسع المصلين في الصلوات الجامعة مثل الجمعة والعيدين وغيرهما.

(٤) تقع الغلطة في الجهة الغربية من القسطنطينية. ابن بطوطة: الرحلة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، ط١ (١/٢٦٦-٢٦٨).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٠/ب، ٨٤/ ب).

(٦) للسلطان الفاتح جهود حضارية كبيرة فمن مآثره أيضاً بناء المساجد والجوامع الكبرى والمدارس الابتدائية والكتاتيب القرآنية في مدينة القسطنطينية وغيرها، فخلال الفترة بين ٨٦٨- ٨٧٥هـ / (١٤٦٣ – ١٤٧٠م) بنى الفاتح جامعاً كبيراً وأنشأ حوله ثماني مدارس عالية ومدرسة للأولاد ومكتبة ومستشفى وخانين ومطعماً عاماً، ولتمويل هذه المنشآت أنشأ سوقاً ضخماً يضم ما يربو على ٣١٨ دكاناً جعل أجرتها لهذه المؤسسات، وكانت كل مدرسة من هذه المدارس الثمانية تضم حوالي تسع عشرة حجرة تدريسية ومجموع الطلاب فيها ستمائة طالب تقريباً. خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: د. محمد الأرناؤوط، دار مدار الإسلامي، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، (ص ص: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥٦)، سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط ١، الكويت، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، (ص: ٢٦٨).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ أ).

مضى من النهار أو الليل ساعة، انفتح باب وسقطت منه بُنْدقه من حديد، وإذا كان عند طلوع الفجر أو غروب الشمس انفتح باب وخرجت منه جوقه مغان تزف»[١]، وأشاد بالقصر الذي شيده سليم الأول في مصر بقوله: «عظيم البناء ثابت الأساس، لم ينسخ له على منوال، ولا سمح الدهر له بمثال»[٢].

رابعاً: تأثره بأسلوب من سبقه وتأثيره فيمن لحقه.

وقد تبلورت شخصية ابن فهد المكي في هذه الفترة وتأثر بأساتذته وشيوخه ومن نقل عنهم من المؤرخين الذين سبقوه في التأريخ للدولة العثمانية ومناقب سلاطينها خاصة ممن هم من خارج الحجاز أمثال السخاوي (ت ٩٠٢هـ - ١٤٩٧م)، والسيوطي (ت٩١١هـ - ١٥٠٥م)، و النويري (ت ٩١٦هـ -١٥١٠م)[٣]، ابن إياس (ت٩٣٠هـ -١٥٢٣م)، ومؤرخ الصراع المملوكي العثماني أحمد بن زنبل الرمَّال (ت ٩٥١هـ - ١٥٤٤م)[٤].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٠/أ).

(٣) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود و عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ، (١٠٦/١٠)؛ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، (١٢٧/١-١٢٨)، العيدروس: النور السافر، (ص ٣٢٤).

(٤) جب: علم التاريخ، مرجع سابق، ص ص ٩٧، ٩٨.

يقول ابن فهد «تصدى كثير من العلماء الأعلام، ومشايخ الإسلام، لعدة تواليف في ذكر مملكة الروم،...فاستخرتُ الله تعالى في هذا الأمر...» (١).

فأما الحافظ السخاوي فهو شيخ ابن فهد وقد سبقه في التأليف في مناقب آل عثمان وتأثر المؤلف به كثيراً ونقل عنه من كتابه: «الإفصاح بما لا يحمل فيه الكتمان، من ذكر ملك الروم ابن عثمان» وهو كتاب مفقود (٢)، ومن كتاب «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» غيرهما من الكتب إما تصريحاً أو تلميحاً(٣).

وأما ابن إياس مؤرخ الدولة المملوكية المقرب من سلطانها الغوري ٩٠٦ - ٩٢٢هـ (١٥٠٠ -١٥١٦م) فقد قدم مادة علمية رصينة في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» عن ضم العثمانيين مصر وتميز بأسلوب بديع ومقدرة عالية على النقد واستقصاء الحقائق فلم يكتف بسرد الحوادث والوقائع والوفيات بل وقف بين الحادثة والأخرى بالشرح والتعقيب مع قوة في الحكم حيث انتقد المماليك والعثمانيين على حد سواء(٤).

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/أ، ٣/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٢/أ).

(٣) يراجع. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/أ،٢٠/ب، ٢١/ب، ٢٨/أ، ٣٧/أ، ٧٦/ب، ٧٧/ب، ٨٢/ ب، ٨٣/ب، ٨٤/ أ، ٨٥/ أ، ٨٥/ ب، ٨٨/ أ، ٩٢/أ، ٩٥/ أ، ٩٦/ب، ١٠٩/ أ).

(٤) ثامر نعمان مصطاف، ماجد ثامر مجلي: مشاهير مؤرخي مصر والشام والعراق في العصر العثماني ومصنفاتهم التاريخية، ٩٢٣- ١٣٣٣هـ / ١٥١٧ - ١٩١٤م، بحث منشور في مجلة كلية التربية / العدد الحادي عشر، واسط، العراق، ٢٠١٢م، (ص ٢٠٨)؛ رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧١).

كما تأثر مثل غيره من المؤرخين العرب في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بالمؤرخين العثمانيين من حيث الاهتمام بمناقب السلاطين وفتوحاتهم وممن سار معه في هذا الركب من معاصريه شمس الدين محمد بن علي الشهير بابن طولون الدمشقي ت ٩٥٣هـ (١٥٤٥)م، صاحب كتاب «سلك الجمان فيما وقع لي من تراجم بني عثمان»[(١)]، و«مفاكهة الخلان في حوادث الزمان» و«متعة الأذهان من التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران»، وغيرها من الكتب فالعلاقة بينهما كانت قويه حيث زامله في الدراسة ثم لقيه في رحلته الأولى إلى بلاد الشام عام ٩٢٢هـ (١٥١٦م)[(٢)]، وداوم بعدها على مراسلته في كلّ عام مع الحجاج، ليعرِّف كلٌّ منهما صاحبه بما استجدَّ لديه من أحداث ومعلومات علميَّة حول المؤلَّفات وتواريخ وفيات الأعلام، وما حصل لديهم من إنتاج علميٍّ[(٣)].

ومن أهم مظاهر تأثر ابن فهد بابن طولون نقله عنه كثير من أحداث هذا الكتاب إما نقلاً مباشراً وإما ضمنياً حيث يتوافق ما ذكره ابن فهد بما هو موجود في مؤلفات ابن طولون تماماً خاصة ما يتعلق بحروب

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، (٢٩٨/٤).

(٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان، (ص ٣٦٥)، الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ١٩٦).

(٣) الغزي: الكواكب السائر، ٢٢٣/١، ١١٨/٢، ١٣٢، ١٥٧؛ ناصر بن سعد الرشيد: بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة، بحث منشور في مجلة العرب ج ١١،١٢ سنة ١٣٩٧هـ، (ص ص ٩٢٨ – ٩٢٩)؛ إبراهيم بن حمود المشيقح: جار الله بن فهد المكي مؤرخاً، رسالة دكتوراه غير منشورة، بجامعة الإمام، الرياض ١٤١٢هـ، (ص٧٦).

العثمانيين ضد الصفويين والمماليك في الشام ومصر وكل هذه الأحداث خارج الحجاز ولم يشهدها ابن فهد بنفسه(١).

كما كان ابن فهد يرسل له أخبار الحجاز، حيث ذكر الغزي ما نصه: «أن جار الله وابن طولون، كانا صديقان، وكان يكاتب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه يذكر له مَنْ يتوفى في كلّ سنة»(٢)، ومما استفاده ابن طولون من ابن فهد حادثة وفاة عبد الحقّ السنباطي الذي حجَّ وجاور أكثر من مرَّة، كان آخرها سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤م)، حيث نزل على آل ابن فهد في دارهم، فمرض وأدركته المنية لديهم، فقاموا بتجهيزه والصلاة عليه، ودفنه في مقابرهم، وكتب الحافظ جار الله بن فهد بالحادثة إلى ابن طولون في الشام، واصفاً له إيَّاها كأنَّه حاضرها(٣).

وأما ابن زنبل الرمال ت ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) الذي رافق جيش السلطان سليم الأول في حروبه ضد المماليك فكتابه المعروف بـ «واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني» أو «أخذ مصر من الجراكسة»، سجل لحوادث ضم العثمانيين مصر من يوم خروج السلطان المملوكي قانصوه الغوري من القاهرة لملاقاة العثمانيين إلى يوم رجوع السلطان سليم الأول إلى عاصمة دولته وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العثمانية في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) تحت عنوان «الدرة اليتيمة في تاريخ

(١) قارن ما كتبه جار الله ابن فهد في اللوحات (٣٨/ب- ٥٤ب) بما كتبه ابن طولون في «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان». ابن طولون: مفاكهة الخلان، (ص ص ٣٣٤-٣٦٠).

(٢) الغزي: الكواكب السائر، (١٣٢/٢).

(٣) الغزي: الكواكب السائر، (٢٢٢/١-٢٢٣).

مصر القديمة»، وللكتاب مختصر عنوانه «واقعات السلطان سليم خان» وله مؤلف آخر باللغة التركية احتوى حكام مصر من العثمانيين في أيامه(١).

وممن ألف في الدولة العثمانية أيضا حسن سبط الأمير سلطان روملو صاحب كتاب «أحسن التواريخ»، اشتمل على أحوال السلاطين في الفترة ٨٠٧ – ٩٨٥هـ (١٤٠٥– ١٥٧٧م)(٢).

وممن تأثر بهم ابن فهد في باب المناقب وصفات السلطان، الأديب شهاب الدين التلمساني الشهير بأبي حجلة المغربي(ت ٧٦٦هـ – ١٣٦٥م) صاحب «سكردان السلطان»، الذي ألفه في بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري وأهداه للسلطان المملوكي حسن بن قلاوون ٧٥٥– ٧٦٢هـ (١٣٥٤ – ١٣٦١م) فنقل منه ابن فهد بالنص خمس لوحات من المخطوط(٣).

ومثلما تأثر ابن فهد بالمؤرخين العرب فقد تأثر بالمؤرخين العثمانيين خلال تلك الفترة الذين انصبت مؤلفاتهم التاريخية بالدرجة الأولى على مناقب آل عثمان وفتوحاتهم، وتراجم سلاطينهم وولاتهم وعلمائهم فجاءت هذه المؤلفات متشابهة إلى حد كبير في طريقة التناول(٤).

---

(١) ثامر نعمان، وزميله: مشاهير مؤرخي مصر، مرجع سابق، (ص ٢١٠)؛ رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٢).

(٢) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٢).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٦٦/أ – ٦٧/أ)، يراجع ما يقابله عند، ابن أبي حجلة، شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني(ت ٧٧٦هـ)، سكردان السلطان، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، (ص ص ٥١ – ٥٣).

(٤) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٤).

كذلك أثر ابن فهد في تلاميذه الذين أقبلوا عليه إقبالاً مباشرًا فجلسوا يتعلمون منه أو الذين توفروا على مؤلفاته وحملوا أفكاره وتأثروا بمنهجه، ومن أشكال التأثير فيمن بعده تأليف بعض لاحقيه في الموضوع نفسه أو شيء يتعلق به وأقصد به مناقب أو تراجم السلاطين العثمانيين ومن بين هؤلاء المؤرخ المصري محمد بن أبي البقاء البكري ت ٩٩٤هـ (١٥٨٦م) في كتابه «تحفة الظرفاء بذكر الملوك والخلفاء»[١]، والقرماني أبو العباس أحمد بن سنان بن يوسف الدمشقي ت ١٠١٩هـ (١٦١٠م) صاحب «أخبار الدول وآثار الأول»، تحدث في أحد أبوابه عن الدولة العثمانية منذ النشأة حتى عصر السلطان أحمد بن محمد (١٠١٢ – ١٠٢٦هـ (١٦٠٣ – ١٦١٧م)، وله كتاب «الروض النسيم والدر اليتيم في مناقب السلطان إبراهيم»، وهو خاص في المناقب[٢]، ومنهم الإسحاقي محمد بن عبد المعطي ت ١٠٦٠هـ (١٦٥٠م) في كتابه «لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول»، قدم فيه عرضاً سريعاً موجزاً عن السلاطين العثمانيين في الفصلين التاسع والعاشر من بداية قيام الدولة حتى نهاية سلطنة مصطفى الأول ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م)[٣].

---

(١) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(٢) المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي (١٢٠٦هـ / ١٧٩١م): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، القاهرة، ١٢٩١- ١٣٠١هـ، ٨٦/٤؛ رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(٣) ثامر نعمان، وزميله: مشاهير مؤرخي مصر، مرجع سابق، (ص ٢١٠)؛ رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

و ممن ساروا على طريق العناية بمناقب وتراجم السلاطين العثمانيين أيضاً المؤرخ محمد بن أبي السرور البكري ت ١٠٧١هـ (١٦٦٠م)، وهو من أسرة مشهورة بالعلم والثراء، له عدة مؤلفات تتعلق بالعثمانيين مثل: «فيض المنان ودرر الأثمان في أصل منبع آل عثمان»، و«المنح الرحمانية في الدولة العثمانية»، و«اللطائف الربانية في الدولة العثمانية»، وكتاب في الفتح العثماني لمصر باسم «الفتوحات العثمانية» [١]، ومنهم الشيخ إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي المالكي صاحب الكتاب المشهور «قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان»، ألفه ليقدمه للسلطان محمد بن إبراهيم عن طريق الوالي العثماني في مصر وقد ضمنه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ورصعه بالأشعار والمدائح ليخرج كتابه بأسلوب جميل فيقع من السلطان موقع القبول[٢]، وكذلك الشيخ مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي ت ١٠٣٣هـ (١٦٢٤م) «قلائد العقيان في فضايل آل عثمان».

وإن كان هؤلاء تأثروا بابن فهد في اختيار موضوع الدراسة وهو «المناقب الخاصة بآل عثمان وولاتهم» فإن تأثرهم بمنهج ابن فهد وطريقته وتبويبه وأسلوبه كان محدوداً ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم انتشار الكتاب بين معاصريه ولاحقيه بشكل كاف فابن فهد ألف كتابه للسلطان نفسه وقدمه له ولم ينسخ منه نسخًا أخرى غيره هذه النسخة حتى أنه لم تصلنا منه إلا النسخة التي قام عليها تحقيق الكتاب وهي فريدة، من هنا يمكن أن يتجلى لنا سبب قلة النقولات عنه بين معاصريه ولاحقيه.

---

(١) رابعة مزهر، وزميلها: الكتابة التاريخية، مرجع سابق، (ص ٧٣).

(٢)المالكي، إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي: قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، طبعه محمد أمين، مطابع جريدة شمس الحقيقة، مصر، ١٣١٧هـ، (ص ٣).

المبحث الثالث

منهج ابن فهد التاريخي

يبدو منهج ابن فهد في الكتابة التاريخية في «الجواهر الحسان» من خلال مراحل العمل والتي تبدأ بمرحلة جمع مادة الكتاب وحصر معلوماته، واختيار مصادره، ومروياته، ومشاهداته، ثم مرحلة النقد لما تم جمعه من معلومات وتحليل الأحداث والتعليق عليها، وتأثره بالمعاصرة، ثم العرض والكتابة وما تتسم به من أحداث، والمنهج الذي تم استخدامه في التدوين هل كان المنهج التاريخي، أم السرد المجرد، هل كان ينقد أو يرجح، يختصر أو يستطرد، هل ناقش الخلافات بين المرويات، وتتبع الحدث من البداية حتى النهاية؟ هل التزم منهج التأريخ الشخصي للسلاطين على الطريقة الحولية؟

أولاً: منهجه في جمع مادة الكتاب ومعلوماته.

لا يقوم التاريخ إلا على ما خلفه السابقون من آثار أبدعتها عقولهم وسطرتها أيديهم؛ لذا رأى المؤرخون أن أول مراحل الكتابة التاريخية بعد تحديد موضوع البحث هي مرحلة الجمع أو التقميش من الأصول[1].

(أ) اختيار مصادره، ومروياته، ومشاهداته.

اعتمد ابن فهد في جمع مادة كتابه على مصادر أصيلة موثوقة، اعتنى باختيارها وانتقائها ليكون منها لبنات هذا الكتاب وافتخر بهذه العناية في مقدمة كتابه بقوله: «وتصدّيت بحمد الله تعالى كما تصدُّوا لجمع الكتب النفائس، واجتليت منها عرائس المعاني، فطوبى لها من عرائس؛ كيف لا وهي أمّهات...»[2]، كما توفر لابن فهد مجموعة الوثائق منها المكاتبات

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، مرجع سابق، (ص ٥٣).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢/ب).

والرسائل التي أرسلها سليم الأول للمماليك بعد انتصاره على الصفويين في شالديران ٩١٦هـ (١٥١٤م): «وكان ممن راسله في ذلك ملِك الديار المصرية والأقاليم الشامية[١]، لشرف جواره وتقارب داره، فكتب له كتاباً مشحوناً بما ذكرتُه، وفي هذا التأليف نقلتُه، وعوَّلت في هذه الواقعة عليه، وركَّبت في البلاغة والفصاحة إليه»[٢].

يتضح من هذا الكلام أن ابن فهد قد مر في تصنيف كتابه بمرحلتين الأولى: اختيار مصادره وعنايته بأصالتها «اقتنصتها من عدة مؤلفات، هي أصول وأمهات»[٣].

والمرحلة الثانية: تسجيل مشاهداته للأحداث التي عاصرها أو كان شاهداً عليها أو نقلها عن من عاصرها بحيث إنه لم يكتف بنوع واحد من المصادر ولا بمصدر أو رواية واحدة في ذكر الحادثة التاريخية بل تميزت كتاباته بتنوع المصادر مما يدل على توخيه إثراء الموضوع باستقصاء مختلف مصادره التي تتضمن مادته.

وقد ركز ابن فهد في المصادر التاريخية الأصيلة القريبة من الأحداث لا سيما مؤلفات شيوخه أو أترابه فمن شيوخه الذين تتلمذ عليهم أو على مؤلفاتهم وتكونت ثقافته من علومهم فأكثر النقل منهم مباشرة سواء نص على ذلك بقوله قال شيخنا التي وردت في الكتاب حوالي عشرين مرة وهو

---

(١) هو السلطان المملوكي قانصوه الغوري سلطان دولة المماليك في مصر والشام.

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٥/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/ب).

يقصد بها «السخاوي» (ت ٩٠٢هـ - ١٤٩٧م) [١]، أو«السيوطي» (ت٩١١هـ - ١٥٠٥م)[٢]، أو «السمهودي» (ت٩١١هـ - ١٥٠٥م)[٣]، أو«أبو بكر عبد الله العيدروس» (ت ٩١٤هـ - ١٥٠٨م)[٤]، أو«محب الدين النويري» (ت ٩١٦هـ -١٥١٠م)[٥]، أو«ابن أجا» (ت٩٢٥هـ - ١٥١٨م)[٦]، أو«عبد الحق السنباطي» (ت٩٣١هـ - ١٥٢٤م)،[٧] أو« ابن عراق»[٨] أو غيرهم.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/أ،٢٠/ب، ٢١/ب، ٢٨/أ، ٣٧/أ، ٧٦/ب، ٧٧/ب، ٨٢/ ب، ٨٣/ب، ٨٤/ أ، ٨٥/ أ، ٨٥/ ب، ٨٨/ أ، ٩٢/أ، ٩٥/ أ، ٩٦/ب، ١٠٩/ أ).

(٢) جار الله بن فهد: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، (ص ١٠٠).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، (٢٤٥/٥-٢٤٨) ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، (٧٣/١٠-٧٤، ٤٣٣).

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب، (٩١/١٠-٩٣)، العيدروس: النور السافر، (ص ١٢٤-١٢٥)، الغزي: الكواكب السائرة، (١١٥/١).

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب، (١٠٦/١٠)؛ الغزي: الكواكب السائرة، (١٢٧/١-١٢٨)، العيدروس: النور السافر، (ص ٣٢٤).

(٦) السخاوي: الضوء اللامع، (١٤٧/١٠)، ابن العماد: شذرات الذهب، (١٩١/١٠)، الغزي: الكواكب السائرة، (٣٠٣-٣٠٥).

(٧) السخاوي: الضوء اللامع، (٣٧/٤-٣٩)، العيدروس: النور السافر، (ص ٢١٣-٢١٥، ٣٢٤)، الغزي: الكواكب السائرة، (٢٢٢/١).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١١٩/ أ، ١١٩/ب،١٢٠/أ،١٢٧/ب) في كلام ابن عراق وعظ للسلطان سليم الأول نقله ابن فهد يعظ به السلطان سليمان وهو عبارة عن نقد لطريقة توزيع الصدقات العثمانية في بلاد الحرمين الشريفين.

أو ممن نقل عن كتبهم من سابقيه أمثال الأديب شهاب الدين التلمساني الشهير بأبي حجلة المغربي (ت ٧٦٦هـ - ١٣٦٥م) في كتابه «سكردان السلطان»[١]، والفاسي (ت ٨٣٢هـ - ١٤٢٩م) من كتاب: «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»[٢]، ما يتعلق بما نزل بمكة من غلاء ووباء وهذه مصادر متخصصة في الجزئيات التي نقلها منها ابن فهد، كما نقل عن المقريزي (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤٠م) من كتاب «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»[٣].

لكنه في بعض الأحيان لم يحسن اختيار المصادر فكان ينقل من مصادر غير متخصصة بعض المعلومات التاريخية الأمر الذي أوقعه في الخطأ مثل نقله عن أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ - ١٢٧٣م) في كتاب «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» خبر فتح القسطنطينية في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه[٤]، ولا شك أن الكتاب غير متخصص وأن الخبر غير صحيح.

كما نقل عن أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م) من كتاب «تفسير القرآن العظيم»[٥]، بعض المعلومات التاريخية أثناء تفسيره لآيات سورة الروم عند كلامه عن فضل الروم يقصد

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٦٦/أ - ٦٧/أ)

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١٠٨/ب، ١٠٩/أ، ١١٠/أ، ١١١/ب، ١١٢/أ، ١١٢/ب - ١١٣/ أ، ١١٣/ ب-١١٤/أ، ١١٤/ ب - ١١٦/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٢١/أ، ٢٥/ب، ٢٧/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٢/أ، ٨٢/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٢/أ، ٨٢/أ).

العثمانيين الأمر الذي أوقعه أيضاً في الخطأ التاريخي الواضح فالآيات تتحدث عن دولة الروم المعاصرة للعصر النبوي والسابقة له في صراعهم مع الفرس ولا علاقة لها بالروم العثمانيين.

والخطأ من وجهة نظري لا يتحمله ابن كثير فهو في التفسير لم يذكر تصريحاً ولا تلميحاً ما يدل على أن سورة الروم فيها ما يخص العثمانيين فالعهدة على صاحبنا ابن فهد رحمه الله تعالى، وأما مؤلفات ابن كثير التاريخية التي اعتمد عليها فلا غضاضة عليه في استخدامها.

ومما يؤخذ عليه نقله معلومات جغرافية عن مدن وبلاد عثمانية من مصادر لغوية مثل: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي[(١)]، أو مصادر أدبية مثل: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لسراج الدين ابن الوردي (ت ٨٦١هـ - ١٤٥٧م) [(٢)].

مروياته.

تأثر ابن فهد بثقافته الحديثية في كتابة التاريخ، فلم يتخل عن الإسناد والاستكثار من طرق الرواية الواحدة، حيث يكرر إسناد الرواية التاريخية من طريق آخر ليؤكد الخبر الذي أراد [(٣)]، فيورد جميع ما وصله من الروايات عن الحدث حتى وإن كان الخلاف بين ألفاظها طفيفاً ولا يؤثر

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٧/أ، ٨٨/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٨/ب- ٩٢/أ)، وابن الوردي هو: سراج الدين أبو حفص، عمر بن الوردي المصري (ت ٨٦١هـ): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، بيروت. وألف هذا الكتاب سنة ٨٢٢هـ.

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٣/ب).

على الحدث التاريخي فيسردها جميعا؛ ليتعرف القارئ عليها ويتـرك لـه الحق في اختيار ما يراه صحيحًا مثل ما استهل به الباب الثاني في فضل الروم وأهلها[1].

كما استعمل أسلوب حشد الروايات باعتبارها أدلة لتدعيم رأيه مثل الروايات التي جمعها تحت عنوان: «ومما يرغب في عموم الإهداء» فذكر أول حديث «ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تهادوا تحابوا)[2]، ثم أتبعه بأربع روايات متتالية يقدم لها بألفاظ: «وفي رواية»، «وفي رواية أخرى»، «وفي أخرى»، «وفي حديث آخر»[3]، وفي بعض الأحيان يكتفي بذكر رواية واحدة ثم يذكر الفروق والزيادات فقط من الروايات الأخرى دون إعادتها وينبِّه على ذلك بألفاظ واضحة مثل حديث: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته»[4]، قال ابن فهد: رواه أبو نعيم وغيره عن أنس

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٠/ب – ٧٥ب).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد. البخاري، الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى (٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد علي قطب، و هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م، (ص ، ١٥٥)؛ والبيهقي. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ، (٢٨٠/٦ حديث رقم (١١٩٤٦)، وقال السيوطي: إسناده حسن، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ ، (١٣٥٣- ١٥٢/٣).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٤/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٤/أ،ب) والحديث أخرجه البخاري. (ص ٥١٠حديث رقم (٢٨٩٦).

رضي الله عنه مرفوعاً بزيادة فيه وهي قوله: (فأعدُّوا لتلك المسائل جواباً)»[(١)].

وأما عن منهج ابن فهد عرض مروياته فيمكن تتبعه من خلال النقاط التالية:

– تقديم الأخبار التاريخية مسندة بأسانيدها من طريق شيوخه إلى راوي الحدث مثل رواية خبر القلنسوة التي استهلها بقوله: «وهو ما رويناه عن أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الله المقري، قال: حدثنا عبد العزيز بن جعفر قال: حدثنا أبو علي الطوماري[(٢)] قال: حدثنا الحسين بن فهم[(٣)]، قال: حدثنا أخي محمد بن فهم، قال: كنا مع المأمون[(٤)] ببلاد الروم، فوقف على مدينة ليفتحها فناله صداع... إلخ [(٥)].

– هناك كثير من المرويات الحديثية التي اشتمل عليها كتابه لم يسرد أسانيدها وطريقته في إيرادها أنه اختارها من كتب الصحاح واكتفى بالعزو

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٥/أ).

(٢) أبو علي، عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، المعروف بالطوماري، توفي سنة ٣٦٠هـ. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ): تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١٢/ ٥١١-٥١٢).

(٣) الحافظ أبو علي، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن فهم بن محرز البغدادي، توفي سنة ٢٨٩هـ. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦٨٠/٢)، سير أعلام النبلاء، (٤٢٧/١٣).

(٤) المأمون: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي، ولد سنة ١٧٠هـ، تولى الخلافة في الفترة بين ١٩٨هـ – ٢١٨هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، (١٠/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤ ، ٢٨٩)

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٧/أ، ٨٧ب).

عليها خشية التطويل يقول عن هذا المنهج: «وانتقيت الأحاديث منهـا مـن بطون أمَّهات الكتب المبوَّبة والمسندة، واقتصرت على العزو فيها اكتفـاء بأنَّ أكثر ما فيها معتضد، خشية من التطويـل بإقامـة الـدَّليل والتَّعليـل، خصوصًا ومعظمها من باب الترغيـب، المتسـامح فـي إيـراده بـدون تعقيب»[1].

فساق أغلب مروياته الحديثية بدون ذكر للإسناد، كأن يقول: «روينا في صحيحي البخاري ومسلم والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد بـن حنبـل، وغيرهم من كتب الصحاح الشريفة، بأسانيد عالية منيفة»[2].

- ينقل حكم العلماء علي مروياته الحديثية كأن يقول: «هـذا حـديث صحيح الإسناد، جليل الموقع للعباد، رواه الحفاظ من عـدة طـرق نحـو سبعمائة طريق»[3]، ومع ضبط ابن فهد إلا أن الكتاب اشتمل على بعـض الأخطاء في النقل من الصحاح مثل قوله: « وقال الإمام البخاري رحمـه الله تعالى سمعت (أن) [4] عبد الرحمن بن مهدي يقول: من أراد أن يصنِّف كتاباً فليبدأ بحديث (الأعمال بالنيات) [5]»، ولا يستبعد أن يكون هذا الخطأ من الناسخ.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠/أ،١٠/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠/ب).

(٤) هذا سقط؛ لأن البخاري لم يسمع من عبد الرحمن بن مهدي، الذي توفي سنة ١٩٨هـ و البخاري مولود في ١٩٤هـ وعمره أربع سنوات.

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١/أ).

- أحياناً ينقل أحاديث الصحاح بواسطة مصادر أخرى دون الرجوع إلى الأصل مثل الأحاديث التي تجمع بين فتح القسطنطينية وعلامات الساعة فنقل أحاديث الإمام مسلم من كتاب: «القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»[١] للسخاوي، وعندما ينقل بسنده عن شيوخه قد لا يذكر سلسلة السند مكتفياً بمعرفة أسانيده عنهم والتي سردها في معجم شيوخه كأن يقول: «روينا في كتاب الشفا للقاضي عياض»[٢].

ومن أجل التخفبف في فإنه بعض الأحيان كان يكتفي بذكر صفة الإسناد دون ذكر أسمائهم كقوله: «روينا بالتواتر عن الإمام عبد الملك الأصمعي»[٣].

- اعتنى بالروايات الشفوية من الأشخاص القريبين من الحدث والأكثر معرفة بتفصيلاته فعند كلامه عن تاريخ نزول السلطان عثمان المؤسس على السلاجقة قال: «وذلك عند حاكي هذه القصة، في سنة نيف وخمسين وستمائة» [٤]، وعند كلامه عن علماء الروم المتخصصين في العلوم العقلية زمن السلطان مراد الثاني ٨٢٤ – ٨٥٥هـ (١٤٢١- ١٤٥١م) كان ينقل عن طلابهم المقربين منهم: «كما بلَّغَنِيه بعضُ من نسب للطلب»[٥].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٥/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٧/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٣/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/أ).

أو ينقل مشافهة عمن يتصلون بأصحاب الترجمة بصلة النسب كما فعل في ترجمة أبي عبد الله محمد بن حمزة الفناري الحنفي[1] قاضي بورصة وقرمان، عندما نقل سبب تلقبه بالفناري عن حفيده: «ويقال حسبما بلغني عن حفيد له: أن الأصل في اشتهاره بالفناري..» [2].

– وضع ثقته في شيوخه الذين نقل عنهم فأوقعوه في بعض الأخطاء التاريخية التي لم ينتبه إليها مثل: إطلاق لقب الصاعقة على عثمان الأول ٦٩٩- ٧٢٦ هـ (١٣٠٠ – ١٣٢٦م)، تأسيساً على حمله للقب جُق، الذي يعني البرق[3].

ومن ذلك أيضاً روايته خبر خروج عثمان المؤسس على السلاجقة بعدما استقبلوه في بلادهم: «فلا زال أمر عثمان يعظم، وجنوده تكثر، حتى

(١) محمد بن حمزة بن محمد ، شمس الدين الفناري الرومي (٧٥١ – ٨٣٤هـ). المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري (٧٦٠- ٨٤٥هـ): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، (٣٤٩/٣)، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤١٩هـ، (٤٦٤/٣)، زاده: الشقائق النعمانية ، (ص١٦-٢١)، البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م ، (١٨٨/٢)، أرسلان، الأمير شكيب: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٢هـ، (ص ٦٧).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/ب)، والصواب أن يلدرم الصاعقة هو بايزيد الأول.

بلغت عشرين ألفاً، فخرج عن طاعة السلجوقية...» (١)، ومثله خبر وفاة عثمان أيضاً «ومات جدهم عثمان شهيداً في بعض غزوات الفرنج سنة اثنين وسبعمائة رحمه الله تعالى» (٢).

ومنها ما رواه عن السخاوي من أن مسلمة بن عبد الملك بن مروان(٣) غزا القسطنطينية لأخيه سليمان في سنة اثني عشرة ومائة (٤).

مشاهداته.

وأما مشاهدات ابن فهد الشخصية فقد اعتمد عليها كثيرًا في تأريخه للأحداث المكية المعاصرة له والتي سطرتها من خلال ذاكرته ومحفوظاته التي عايشها بنفسه أو ينقلها من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب:«نيل المنى

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/ب)، وهذه معلومة تاريخية غير دقيقة والصواب أن وفاته كانت في يوم ٢١ من رمضان سنة ٧٢٦هـ الموافق ٢١ من أغسطس ١٣٢٦م. فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، (ص ١٢٢)، أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، (ص ٥٦)، حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، (ص ٤٥).

(٣) مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من أمراء وقواد بني أمية، له فتوحات كثيره ، من أبرزها غزو القسطنطينية في عهد أخيه سليمان، توفي سنة ١٢٠هـ بالشام. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، (٤/٧٦).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٣/ب)، وهذه معلومة غير دقيقة، والصواب أن هذه الحملة أرسلها سليمان بن عبد الملك بقيادة أخيه مسلمة كانت في عام ٩٨هـ، ثم توفي سليمان في العام التالي مباشرة ٩٩هـ. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، (٦/٥٣٠، ٥٤٦)، رمضان، عبد العظيم: الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، (ص ١٠٨، ١١٢).

بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى»، أو كتاب «نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان»، فمما كتبه من مشاهداته ومحفوظاته تأريخه لبعض الأزمات الناتجة عن الغلاء في مكة بداية من عام ٩٠٧هـ (١٥٠٢م) ومساهمة السلاطين في تخفيفه، يقول ابن فهد: «...ولم يكن عندي حال تأليفي لهذا الكتاب، شيء منها انقله للطلاب، غير ما أذكره من حفظي، من محاسن سلاطين وقتي، ومنها: أنه وقع بمكة في سنة سبع وتسعمائة غلاء عظيم، وذلك في دولة الشريف جازان(١)، وبني إبراهيم، حتى بلغت الربعية(٢) الحبّ بربع دينار، وتضرر بذلك أهل البراري

---

(١) هو أحمد بن محمد بن بركات الملقب بجازان، تولى إمرة مكة المكرمة بعد أخيه هزاع ٩٠٧هـ (١٥٠٢م)، تنازع مع أخيه بركات على الإمارة وظل كل منهما يأخذها من الآخر حتى استقرت لأخيه بعدما قتل وهو يطوف حول الكعبة، في رجب ٩٠٩هـ (ديسمبر ١٥٠٣م) على يد الأتراك المقيمين بمكة. العز ابن فهد، عبد العزيز بن النجم المكي (ت ٩٢٢هـ): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، وعبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبدي، دار القاهرة، القاهرة، (٢/ ١٣٠١)، الشلي، السيد محمد اليمني: السناء الباهر بتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، دار الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤٢٥هـ، (ص ص ٥٨-٥٩)، دحلان، أحمد بن زيني (ت ١٣٠٤هـ): تاريخ زيني الدين دحلان المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، و رأفت عبد العزيز، مطبوعات أرض الحرمين، (ص ص ١٢١-١٢٢).

(٢) الربعية: مكيال استخدم لكيل الحبوب خلال العصر العثماني بمصر والحجاز وبغيرهما من البلاد العربية. جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (١/ ٥١ هامش ١).

والقفار، ودام ذلك بمكة مدّة مديّدة، وأشهراً عديّدة، ثم ألهم الله سلطان الديار المصرية....، وحصل الرّخاء في جميع البلاد»[1].

ومما نقله من «نيل المنى» أحداث فتح رودس زمن السلطان سليمان في صفر ٩٢٩هـ (ديسمبر ١٥٢٢م)[2]، وأما كتاب «نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان» فقد نقل منه كثيراً من الأحداث والتعليقات مثل: كلامه عن تحسن الوضع الاقتصادي في مكة خلال العصر العثماني[3]، ومثل: القصيدة التي قالها الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد العلائي[4]، القاهري الحنفي، ممتدحاً السلطان سليم الأول بعد ضمه لبلاد الشام ومصر، وذاكراً ملكه لهذه الأمصار[5].ومما يميز هذه الأخبار التي عاصرها ابن فهد أنها تعطي تصورًا حقيقيًا للأزمات التي يتسبب فيها الغلاء وما ينتج عنه من ارتفاع الأسعار التي كان ابن فهد يعطي بعض النماذج منها ليقف القارئ على حجم المعاناة التي يعانيها الفقراء من المكيين والمجاورين.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٦/أ، ١١٦ ب).

(٢) جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (١/ ٣٩٢، ٣٩٣)؛ جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٩/ب، ٧٠ أ).

(٣) جار الله بن فهد: الجواهر الحسان، ورقة (٣٨/ب)، جار الله بن فهد: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، (٢٩-٣٠).

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي بن إدريس، أبو الفضائل ، بدر الدين العلائي الرومي الحنفي المصري، مؤرخ ، ولد سنة ٨٥٦هـ وتوفي سنة ٩٤٢هـ. السخاوي: الضوء اللامع (١٠/٧)، الغزي: الكواكب السائرة، (٧١/٢).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٥/ ب)، جار الله بن فهد: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، (ص ٨٥).

(ب) تأثر ابن فهد بالمعاصرة.

كتب ابن فهد كثيراً من الأحداث المعاصرة له يؤرخ فيها لسلاطين الدولة العثمانية الذين عاصروه ويعدد مناقبهم، كما يؤرخ لآبائهم وأجدادهم من بداية دولتهم حتى عهد السلطان سليمان القانوني الذي يؤلف له هذا الكتاب، وبمطالعة ما كتبه ابن فهد يلاحظ أنه وقع تحت تأثير الرغبة في عطاء السلطان والرهبة منه، الأمر الذي جعل كتابه عبارة عن سجل جمع فيه مناقب السلطان سليمان ومحامده هو ومن سبقه من آبائه وأجداده العثمانيين تخليداً لذكرهم ونشراً لأعمالهم البطولية، وفي الوقت نفسه وجه سهام الذم وصب جام الغضب ضد معارضيهم، وأصبح واحداً من المؤرخين المنتجين للتواريخ السلطانية بجدارة.

فابن فهد أوضح منهجه في المدح من بداية الكتاب عندما قرر في مقدمته أنه يعتبر أن أولى ما ينفق فيه الوقت ويبذل فيه الجهد هو التأليف في مناقب هؤلاء السلاطين: « فرأيت أنَّ أوْلَى ما تسمح به القرائح، وأحق ما تتعلق به المدائح، توشيح الدفاتر بأخبار الأكابر، خصوصاً سلطان البرية الذي أنعم الله به على أهل الملة المحمدية، المذكور بشريف الاسم وأحسن الألقاب، وأكرم الصفات والأنساب، المتحلي بحلية المعاني والبيان، المشهور كسلفه الكريم بابن عثمان...» (١).

فأخذ يصف السلطان سليمان خاصة وسلاطين الدولة العثمانية عامة بأوصاف مبالغ فيها بصورة واضحة قد يخرجه بعضها عن الحدود الشرعية ويوقعه في المخالفات من حيث لا يدري مثل: «مالك رقاب

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢/ب، ٣/أ).

الأمم»(١)، «مستخدم خواقين(٢) العرب والعجم»(٣)، «ظِل الله تعالى في الأرض»(٤)، «الخاقان الكريم، سيِّد الملوك»(٥)، «مَنْ انعقد على كماله الإجماع»(٦)، «واشتَمَلْتَ على سائر أوصاف الكمال»(٧)،« فمادت(٨) الأرض بحركته، وغامت السماء من غَبَرته»(٩).

والجدير بالذكر أن المؤلف نفسه استشعر الذنب من هذه العبارات الصادمة وهذه الأوصاف المتطرفة فأخذ يتملص منها ويبرر وقوعه فيها ويستغفر الله ويتوب إليه من خطرها في نهاية كتابه بقوله: «وهذه الأشياء إنما أَلَّفتُها للاستظراف والاستطراف، وأنا استغفر الله مما ذكرت من الأوصاف، وأسأله العفو والمغفرة إنه خفي الألطاف، ويؤمنني برحمته مما

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/أ)، ولا يجوز إطلاق هذا اللقب؛ لأنه يعد كذباً لأن أحداً من السلاطين العثمانيين ولا غيرهم يمتلك رقاب الأمم، بركات: الألقاب والوظائف العثمانية ، (ص ١٨).

(٢) خواقين: جمع خاقان. والخاقان: لقب لكل ملك من ملوك الترك ، وتعني السلطان الأعظم ، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، (ص ٢٤٨)، بركات: الألقاب والوظائف العثمانية ،(ص ١٩).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/أ، ١١٧/ب)، وهو من الألقاب السلطانية، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حر الجور كما يستظلون بظل الشجرة ونحوها من حر الشمس، القلقشندي: صبح الأعشى، (٥٨/٦).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥/ب).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٨/أ).

(٨) مادت الأرض: دارت واضطربت. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ، (ص ٨٩٣).

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٩/أ).

أخاف يوم المخاف، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده »[1].

وكما بالغ في مدح السلاطين العثمانيين وأمطرهم بالمناقب والمحامد فقد صب جام غضبه على أعدائهم فسبهم ولعنهم بأقبح الألفاظ لا سيما المحاربين لهم من النصارى والروافض وربما أهل السنة من المماليك في أوقات الخلافات بين الدولتين، أو من الأمراء العثمانيين أنفسهم إذا خرج واحد منهم ضد السلطان، فمن ذلك لعن تيمورلنك[2] قائد معركة أنقرة التي هُزم فيها السلطان بايزيد الأول ١٧ ذي الحجة ٨٠٤ هـ (١٨ يوليو ١٤٠٢م) [3]، وتم أسره: «فَقَبَضَ الملعونُ عليه»[4]، كذلك لعن الأمير جمّ ومن ساعده من ملوك أوربا في الخروج ضد أخيه بايزيد الثاني[5] بقوله:

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢٨/أ).

(٢) تيمور لنك: يسميه المؤرخون المسلمون المعاصرون له تمر الطاغية، هو تيمور لنك بن طرغاى السلطان الأعظم الطاغية، الأعرج وهو اللنك في لغتهم قائد المغول، انتصر على السلطان بايزيد في معركة أنقرة ١٧ ذي الحجة ٨٠٤ هـ (١٨ يوليو ١٤٠٢م)، ووقع السلطان في الأسر، ثم أخذ ما يلي أطراف الشام من بلاد الروم ورجع إلى الشرق ومعه بايزيد أسيراً حتى وفاته في السنة التالية ، وتوفي تيمور لنك سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٥م). السخاوي: الضوء اللامع ،(٤٦/٣) ، الشوكاني، محمد بن علي(ت ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٧٣/١).

(٣) أوليا جلبي: سياحتنامة مصر، المجلد العاشر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق د/ عبد الوهاب عزام، و د/ أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة: د أحمد فؤاد متولي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م. (ص ص: ١٣٩، ١٤٠).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٣/ب).

(٥) بعد وفاة السلطان محمد الفاتح رأى ابنه «جم» نفسه أحق بالعرش من أخيه «بايزيد الثاني» فتوجه إلى «بورصة» وأعلن نفسه سلطاناً عليها، ثم اقترح تقسيم الإمبراطورية

«حتى أخرجه بعض ملوكهم، الملعونين بسلوكهم، لمحاربة أخيه الملك السعيد، أبي يزيد ونصب الراية عليه، مع كراهيته لهذا الفعل القبيح وإضافته لديه، بحيث كان يُدبِّر قتل هذا الملعون»(١).

ووصف الروافض المحاربين للسلطان سليم الأول في شالديران ٩١٦هـ (١٥١٤م) بالخيبة والخسران: «فعاد عدوهم الخارجي بجراحات مؤلمة في عدد يسير عاجزين حائرين خائبين خاسرين»(٢)، وحكم على

بحيث يستقل هو بالجزء الأناضولي بينما يتولى أخوه الحكم في البلقان الأمر الذي رفضه «بايزيد الثاني» ، ونشبت الحرب بين الأخوين لمدة عام لجأ بعدها «جم» إلى المماليك فاستقبلوه ومن معه من الخارجين الذين توجه بهم إلى «قونية» ثم إلى «أنقرة» فلم تقبله واحدة منهما، فأراد العودة إلي مصر عن طريق «رودس» وتواصل مع فرسان القديس يوحنا واحتمى بهم لكنهم سلموه إلى بابا روما، وبذلك أصبح «جم» سلاحاً يستخدمه الأوربيون ضد «بايزيد الثاني» لمدة ثلاث عشرة سنة التي استغرقها أسره وتعرض خلالها السلطان لابتزاز مستمر حتى انتهي الأمر بوفاة الأمير الثائر مسموماً في مدينة نابولي الإيطالية في جمادى الأولى ٩٠٠هـ / (فبراير ١٤٩٥م). يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم د. محمد زينهم، محمد عزب، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، (ص: ٥٤)، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، تركيا، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (١/ ١٨٦)، أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني،دار الشروق، ط ٣، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (ص ص: ٧٤، ٧٥).

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٦/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٢/ب).

قتلاهم حكماً جازماً بالنار: «وقتل جمّ غفير من الغاوين فملئت منهم دركات النيران»(١)

وكذلك وصفه السلطان الغوري بالجهل «فأضمر المكر والخديعة بجهله، وما تلى قوله تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾»(٢)، ووصف جنوده بقوله: «أحزاب الشيطان»(٣)، وبقوله: «الفجرة اللئام»(٤)، ويدخل في باب إطراء العثمانيين إضافة بعض خوارق الصوفية وشطحاتهم التي تتنافي مع العقل والشرع لبعضهم كالسلطان«مراد الثاني» ت ٨٥٥هـ (١٤٥١م) الذي ادعى ابن فهد: «أنه كان إذا نوى صلاة الفرض يرى الكعبة الشريفة»(٥).

كما شحن ابن فهد كتابه بمبالغات من نوع أخف وطأة وأقل حدة من النوع السابق وهذه اختصت بالأمجاد الحربية والانتصارات العسكرية وصف السلاطين فيها بأوصاف خيالية في الشجاعة وكذلك جيوشهم وقوادهم وفي الوقت نفسه هوَّن من شان أعدائهم وقزمهم.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢٧/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٥/ ب، ٤/أ)، والآية من سورة فاطر: رقم ٤٣.

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٧/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٤/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/ب).

فمن مبالغاته في شجاعة السلاطين وصفه للسلطان «سليم الأول» أثناء قتاله للصفويين في معركة شالدراين ٩١٦هـ (١٥١٤م): «فحمل عليه حمل الليث الخادر، وسطى عليه سطوة الأسد الزائر»(١).

وعن أعداد جنوده الذين خرج بهم لقتال المماليك في بلاد الشام قال: «فسار بعسكره الجرَّار، الذي هو كالمطر المدار، على الجهات الحلبية والبلدان الشَّامية»(٢)، وقال عنهم في الريدانية(٣): «هم كأعداد الرِّمال، وأمثال الجبال، ولهم قلوب الأسود، وشخوص الرجال»(٤)، وفي محاولة منه لصبغ هذا الجيش العثماني بالصبغة الشرعية وشيطنة أعدائهم تورط في وصفهم بأمور غيبية لم يجزم بوقوعها إلا لجند النبي صلى الله عليه وسلم في مغازيه مثل قوله: «ونقل الله ملك مصر من أيدي أصحاب المشأمة، إلى

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤١/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٦/ب).

(٣) وقعت معركة الريدانية بتاريخ ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ /٢٢ يناير ١٥١٧م، بين طومان باي والسلطان سليم الأول العثماني والتي انتهت بهزيمة «طومان باي» وإعدامه على باب زويلة وانهاء حكم المماليك وبداية السيطرة العثمانية على مصر. محمد بن أبي السرور البكري الصديقي ٩٩٨-١٠٧١هـ (١٥٨٩-١٦٦١م): المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله: اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، دار البشائر، (د ـ ت)، (ص ص: ٨٨- ٨٩)، محمود شاكر: ضياع الخلافة، سلسلة الخلفاء، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، (ص: ٧٦)، تاريخ الدولة العثمانية...، أوزتونا، (١ / ٢٢٤، ٢٢٥).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٢/ب).

أيدي أصحاب الميمنة الذين أمدهم الله بمداركته، وأنجدهم بملائكته»[1]، وقوله: «فكان ذلك اليوم مشهوداً، والملائكة فيه شهوداً»[2].

وأما السلطان سليمان فقال عن شدَّته في فتوحاته: «من لزمت الأُسْد الصَّمت من خوف بطشه وسلطانه»[3]، وبالغ في عدد جيشه الذي حارب به المجر وفتح مدينة بلغراد[4] بقوله: «فتهيأت عساكر المسلمين للقاهم، واستقلوا جمع الكفار وقليل ما هم، مع الجمِّ الغفير، والجمع الكثير، التي ملأت شعوب قبائلهم الشعاب، وأصبح العساكر عدد الرمل والحصى والتراب، فأحدقت بجزيرتهم حدائق العساكر، وأحاطوا بقلعتهم إحاطة السواد بالناظر»[5].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٧/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٨/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٤) بعد تولي «سليمان القانوني» السلطنة، بدأ جولة جديدة من الحروب ضد ممالك أوربا (روسيا والمجر) حيث حشدت البابوية الجيوش ضد العثمانيين فبادرهم السلطان قبل أن يجمعوا شتاتهم، وفتح مدينة بلغراد في صفر ٩٢٧هـ (١٢ يناير ١٥٢١م) وهي مفتاح وسط أوربا، ثم جزيرة رودس ٩٢٩هـ (١٥٢٣م) وقضى على فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يهددون المسلمين في البحر المتوسط، واستولى الخليفة على بلاد الأفلاق، وانتصر على المجر ودخل عاصمتهم بودابست في ٣ ذي الحجة ٩٣٢هـ (١٠ سبتمبر ١٥٢٦م)، وألقى حصاراً على عاصمة النمسا فيينا في ٢٣ من محرم ٩٣٦هـ (٢٧ سبتمبر ١٥٢٩م)، وأصبحت شبه جزيرة القرم ولاية عثمانية سنة ٩٣٩هـ / (١٥٣٣م). محمود شاكر: ضياع الخلافة، (ص ص: ٨٠، ٨١)، أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، (١ / ٢٦١، ٢٧٤)، سامي المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العثمانية، (ص: ٣٥٦).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٠/أ).

كما غالى في وصف سعة مملكتهم بعبارات فضفاضة مثل قولـه عـن سليمان القانوني متفاخراً بأملاكه: «سلطان الروم وابـن سـلاطينه التـي صرف عنها المعتدي بقوله: الممالك لأبي وجدي، بل جد جد جدي، ومنهـا جميع بلاد الأوجات، التي هي نهاية بلاد المسلمين وما لهم من البيوتـات، والبلاد التي وراء بحر الروم من المضيق بأسرها، مما لا ينهض لوصف قدرها»(١).

ثانياً: طريقته في التوثيق من المصادر.

ومما يحمد لابن فهد أنه صرح بأسماء مصادره التي اعتمد عليها فـي ثنايا كتابه على خلاف بعض معاصريه وتلاميذه ممن كان لا يحيل إليها أو يشير إشارة عابرة إلى مصادره.

ولعل الدافع له إلى ذلك هو أمانته في إسناد الخبر إلى قائلة وهي مـن الصفات اللازمة للمؤرخ ومن قبل للمحدث.

بل إن ابن فهد كشف عن جل مصادره التي اعتمد عليها إما في مقدمة ذكر الحدث أو في ثناياه، وقد كانت له عدة طرق في الإحالة إليها والتوثيق منها، فمرة يصرح باسم المؤلف والمصدر قبل إيراد الخبر فيقول قال فلان في كتاب كذا بصورة محددة لا لغط فيها مثل كثير مـن الإحـالات علـى السخاوي بعبارة: (قال شيخنا الحافظ السخاوي: نزيل الحرمين الشـريفين، في كتابه: «الإفصاح بما لا يحمل فيه الكتمان»، من ذكر ملك الروم ابـن

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/ب).

عثمان) [1]، ومثل قوله: (وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره) [2]، وقوله: (وذكر قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر في كتابه «لسان الميزان»)[3]، أو يكتفي باسم المؤلف فقط ولا يذكر اسم المصدر، مثل (قال الشيخ تقي الدين المقريزي[4] مؤرخ القاهرة)[5]، وقوله: (وقال شيخنا الشمس السخاوي)[6]، أو يعقب بالتوثيق من المصدر بعد النقل منه مباشرة بمثل قوله: (انتهى كلام مؤلف السكردان)[7]، وقوله: (انتهى وعظ شيخنا ابن عِرَاق)[8].

كما كان حريصاً أن يبين للقارئ كلامه من كلام مصادره ويبين طريقة النقل منها هل نقل نصاً أم أنه نقل نقلاً مختصراً بالمعنى فإن كان ينقل نصاً

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/ب)، وهذا الكتاب من الكتب المفقودة المنسوبة للسخاوي، لكن هذا الكلام ورد في كتابه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (١١/١٤٨).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٧/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١١/ب).

(٤) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري، المقريزي ٧٦٠- ٨٤٥هـ (١٣٥٩-١٤٤٠م)، ولد وعاش في القاهرة، حج عدة مرات وجاور بمكة وروى بها جميع كتابه إمتاع الأسماع، ثم عاد إلى مصر تولى خطة الاحتساب في الوجه البحري، ثم تولى الخطابة في جامع عمرو بن العاص، له مؤلفات كثيرة في التاريخ خصوصًا تاريخ القاهرة. نجم الدين ابن فهد: معجم الشيوخ، مصدر سابق، ص ص ٦٣- ٦٧، السخاوي: الضوء اللامع، (٢/٢١)، الشوكاني: البدر الطالع (١/٧٩).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٦/ب).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٨/ب).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢٧/ب).

حدد نهاية النصوص المنقولة بقوله: (انتهى)[١] ويعني بذلك انتهاء النص المنقول، ثم يبدأ كلامه هو بقوله: (وأقول...) [٢]،وأما إن كان ينقل بتصرف فينبه على ذلك كأن يقول: (انتهى كلام شيخنا الحافظ السخاوي ملخصاً في بعضه)[٣]، أو يقول: (ما معناه)[٤]، أو (انتهى بالمعنى) [٥]، أو(انتهى ملخصا من كتاب شفاء الغرام للشريف الفاسي)[٦].

وفي بعض الأحيان يحيل إلى المصادر بطريقة غير مباشر فينقل كلام مصدر بواسطة مصدر آخر كأن ينقل كلام الطبري ليس من تاريخه وإنما من كتاب «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي [٧]، أو ينقل ما كتبه البرزالي في تاريخه[٨] عن الغلاء الذي وقع في مكة سنة ٧٠٧هـ

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/ب، ٨٢/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٤/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٧/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٢/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٣/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٥/ب).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٢/أ).

(٨) القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي (ت ٧٣٩هـ): المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، (٣٧٢/٣).

بواسطة كتاب «شفاء الغرام» للفاسي[١]، والأولى أن يرجع لهذه المصادر مباشرة ويأخذ منها.

ونقل معلومات تاريخية وأحاديث نبوية بواسطة مصادر أخرى دون الرجوع إلى الأصل مثل الأحاديث التي تجعل فتح القسطنطينية ضمن علامات الساعة فنقل أحاديث الإمام مسلم من كتاب: «القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»[٢] للسخاوي وبمقارنتها مع الصحيح تبين أن هناك أخطاء في النقل.

كما كان يحيل على موضوعات وأحداث تقدم ذكرها في كتابه أو تأتي لاحقًا مما جعل من الكتاب وحدة واحدة، فمن إحالاته على ما سبق من موضوعات قوله: «وقد قدمنا»[٣]، وقوله: «وقال شيخنا السخاوي في الباب الأول الماضي»[٤].

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٣/أ)؛ محمد بن أحمد بن علي الفاسي (ت ٨٣٢): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ه، (٣٢٩/٢).

(٢) يراجع مثلاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:(أسمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر...) فيه سبعة أخطاء في النقل، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٥/أ)؛ مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ،(٢٢٣٨/٤ رقم ٢٩٢٠).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٨/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٢/أ).

ومرات يعمم ولا يحدد اسم المصدر ولا اسم المؤلف كأن يقول: «قول القائل»[١]، أو «ذكر بعض المؤرخين»[٢]، أو «وقال غيره من المؤرخين»[٣]، أو «واتفق من أرَّخَ بايزيد أنه كان شجاعاً غازياً عادلاً مهاباً»[٤]، أو «الفضلاء والفقهاء النبلاء»[٥]، أو « ووجه بعضهم هذا القول»[٦]، أو «وقال بعض مشايخنا»[٧].

وقليلاً ما كان ينقل من المصادر دون إحالة كما فعل مع المقريزي الذي تطابقت مروياته التاريخية في الجواهر الحسان عدة مرات مع ما جاء في مؤلفاته خاصة كتاب: «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»، وكتاب: «السلوك لمعرفة دول الملوك» [٨]، ومع ذلك لم يصرح باسمه إلا مرة واحدة[٩]، كذلك نقل ابن فهد من «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان» لابن طولون حوالي ست وثلاثين مرة إما نقلاً مباشراً صريحاً وإما ضمنياً حيث يتوافق ما ذكره ابن فهد بما عند ابن طولون تماماً خاصة ما يتعلق

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٠/أ، ٢٠/ب).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/ب).
(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٤/ب).
(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨١/أ).
(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة ٩٦/ب).
(٨) تطابقت معلومات ابن فهد مع ما جاء في مؤلفات المقريزي في ٤٩ موضع من كتابه كان نصيب كتاب: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، حوالي ٤٨ مرة، وأما كتاب: السلوك لمعرفة دول الملوك فمرة واحدة.
(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

بالأحداث التي تتضمن حروب العثمانيين ضد الصفويين وضد المماليك في الشام ومصر حتى لا تكاد تجد له مصدراً غيره ومع ذلك لم يحل عليه[1].

والنقل دون إحالة أوقعه في بعض الأخطاء التاريخية فعند كلامه عن واقعة خروج الأمير جمّ على أخيه بايزيد الثاني ثم وقوعه في قبضة الأوربيين قال: «وهو إلى الآن في قبضتهم»[2]، فقوله الآن يوهم أن المقصود وقت تأليف ابن فهد للكتاب سنة (٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) وهو متأخر عن هذه الأحداث التي انتهت بوفاة الأمير جم سنة (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) وسبب هذا الخلل أنه كان ينقل عن شيخه السخاوي دون إحالة على كتبه بما يوهم القارئ أن الكلام له[3].

وفي توثيق الروايات الشفوية يذكر أحياناً أسماء من ينقل عنهم لكنه كثيراً ما يهمل ذكرهم ويكتفي بعبارة «حسبما بلغني» [4]، «كما بلَّغَنِيه بعضُ من نسب للطلب» [5]، أو كلمة «فيما بلغني» [6]، أو «وبلغني»[7].

والجدير بالذكر أن هذا المنهج التوثيقي الذي اتبعه ابن فهد كان يلتزم به في النقل عن المصادر المكتوبة، أما ما كان يرسله له بعض معاصريه

---

(١) جار الله ابن فهد في اللوحات (٣٨/ب- ٥٤ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٤/ب).

(٣) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ، (ص ١٩٢)؛ أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية ، (ص ١١٥)؛ أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١٤١٤،١هـ، (ص ٦٣).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٣/أ).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧٧/ب، ١٠٩/أ).

من معلومات عن الأحداث لم يكن يُحِل إليها لكن بالمقارنة بمؤلفاتهم تبين أنه ينقل منها نقلاً طويلاً وهذه النقطة واضحة جداً عند تداوله المعلومات عن صديقه ومعاصره ابن طولون الذي تطابقت معلوماته في كثير من المواضع بمؤلفاته ولعل السبب في ذلك أن هذه المرويات أرسلها ابن طولون لصديقه ابن فهد في شكل مسودات استفاد منها ابن فهد ثم دوَّنها ابن طولون في مؤلفاته، وبمقارنة هذه بتلك تبين التطابق.

ومع دقة ابن فهد في نقوله وإحالاته إلا أنه وقع في بعض الأخطاء عند التوثيق من المصادر حيث اعتراه شيء من عدم الدقة في النقل منه ما يظهر من السياق ومنه ما يبدو بمراجعة الأصول التي اعتمدها، كأن يحيل إلى مصدر فلا تجد المعلومات فيه مثل حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنَّ جبريل أتاني فبشَّرني أن الله أمدني بالملائكة، وأتاني النصر وجعل بين يديَّ الرُّعب، وأتاني السلطان والملك، وطيب لي ولأمتي الغنائم ولم يكن قبلنا». قال ابن فهد «أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة»(١) وهو غير موجود في الدلائل(٢).

أو يغير بعض الكلمات أثناء نقلها من المصدر مثل كلامه الذي نقله من «شفاء الغرام» للفاسي عن الغلاء بمكة يقول: «بلغ الحَبُّ بمكة خمسة أمداد

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٠٢/أ).

(٢) مثله عند السيوطي في الخصائص الكبرى. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ): الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة. (١٥٥/٣).

بدينار- يعني خمس رباعي- ولم يجيء سرو» [1]، والتصويب كما هو في كتاب (شفاء الغرام) «ولم يجيء ميرٌ» [2].

ثالثاً: منهجه في الكتابة التاريخية.

لا شك أن ثقافة ابن فهد وجاهزية المؤرخ عنده والتي تحققت لديه من خلال الموروث الثقافي الأسري الذي توافر عليه في ما كتبه أسلافه، له أثره الذي ظهرت معالمه في مؤلفاته التاريخية عامة وفي كتاب «الجواهر الحسان...» خاصة، فقد قدَّم ابن فهد مادة تاريخية مرتبة ترتيباً تدريجياً الأقدم فالأحدث وفقاً لمبدأ التعاقب الزمني لم يخل من النقد والتحليل والاستنباط، ومع ذلك لم ينج في بعض الأوقات من اتباع منهج السرد التقليدي في نقل بعض الروايات، ويمكن تتبع منهجه من خلال النقاط التالية.

(أ) المنهج التاريخي.

أرخ ابن فهد لسلاطين الدولة العثمانية وترجم لهم وجمع مناقبهم وفق الترتيب التاريخي من بداية قيام دولتهم علي يد عثمان الأول وحتى سليمان القانوني بطريقة مسلسلة، يستعرض الأحداث البارزة التي وقعت في عهد كل سلطان منهم على حدة مرتبة حسب حدوثها من أول ولايته إلى نهايتها ثم يبدأ في عهد السلطان التالي، كما أنه عني بالمنهج التاريخي أيضاً أثناء عرضه لكل حادثة تاريخية فرتب الحوادث وساقها مرتبة وفقاً لمبدأ التسلسل الزمني والتطور التاريخي مع النظر في الأسباب والمسببات

---

(١) مثله عند السيوطي في الخصائص الكبرى (١٥٥/٣).

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، (٣٢٦/٢)، والمِيرةُ تعني: الطعام، أو جلب الطعام للبيع. ابن منظور: لسان العرب (١٨٨/٥).

وإظهار العلاقات المنطقية التي تربط حقائق الماضي بما قبلها وما بعـدها، وهذا هو المنهج التاريخي [١].

غير أنه أخل بهذا الترتيب في بعض المواضع القليلة من الكتاب ففـي ترجمته للسلطان بايزيد الأول تكلم عن معركة «أنقـرة» ١٧ ذي الحجـة ٨٠٤ هـ (١٨ يوليو ١٤٠٢م)، التي أسر فيها السلطان وعن وفاته بعـد عام في الأسر ثم عاود الحديث بعدها عن اغتصاب التتر لمدينتي سـيواس وقرمان الذي وقع قبل ذلك في سـنة ٨٠٠هـ (١٣٩٨م) وكأنـه يعـود بالأحداث إلى الوراء[٢].

وفي ترجمة السلطان سليمان القانوني تكلم عن توليته السلطنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)، ثم أفرد عنواناً خاصاً تحدث فيه عن مولده ونشـأته(٣)، وفـي أثناء الكلام عن نشأته ذكر أن والده سليم الأول تركه في اسـتنبول لحفـظ الأمن «وتوجه إلى الديار المصرية، والأعمال الحلبية والشامية، سنة اثنين وعشرين وتسعمائة»[٤]، ولا شك أن الترتيب التاريخي لهذه الأحداث غيـر ما ذكر ابن فهد فضم بلاد الشام أسبق من مصر التي أخذها العثمانيون في العام التالي ٩٢٣هـ (١٥١٧م).

ومن أعجب ما يذكر في مخالفة ابن فهد للترتيب التاريخي في عـرض أحداث الكتاب إفراده موضوعاً بعنوان: «فتحت القسـطنطينية فـي زمـن عثمان بن عفان رضي الله عنه» في الباب الثاني وذلك بعد كلامه الطويـل

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، مرجع سابق، (ص ٢٠٩).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/ب).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/أ، ب).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٤/ ب).

في مناقب سلاطين الدولة العثمانية[١]، ولعل الدافع له على ذلك أنـــه يقـــدم لفتحها على يد السلطان محمد الفاتح فمر بمحاولات فتحها من زمن عثمان حتى إتمام الفتح.

(ب) سرد الأساطير.

وقع ابن فهد في مشكلة سرد بعض الأساطير المتعلقة ببدايـــة ظهـــور العثمانيين وأصلهم ونسبهم وكرامات بعضهم وغير ذلك.

والأساطير نوع من الروايات الشفوية تكثير في البيئات غيـــر المثقفـــة وتنتشر بين أهل البادية والريف وبين الجند أحياناً، وهي مرتبطـــة كثيـــرة بالبدايات الأولى لتكوين الدول وإقامتها، وعندما تقل الروايـــات التاريخيـــة تنتشر الأساطير لتسد الفجوة وتملأ الفراغ، فحينما تبدأ كل أمة في تـــدوين تاريخهـــا لا تنتهـــي الروايـــات الشـــفوية المليئـــة بالقصـــص والنـــوادر والأساطير[٢].

وابن فهد لم ينج من نقل هذه الأساطير التي لازمت بـــدايات التـــاريخ العثماني كما لم يسلم منه غيره من المؤرخين إلا قليلًا في ظل انتشار هـــذه الروايات وغياب الحقائق التاريخية.

من ذلك قوله عن السلطان «مراد الأول»: «ويقال: أنـــه كـــان يـــرى الكعبة المشرفة ، في أول نية من صلاة الفرض المنيفة»[٣].

---

(١) والجدير بالذكر أن ابن فهد قد وَهِمَ عندما جَزَمَ بفتح القسطنطينية فـــي زمـــن عثمـــان رضي الله عنه بل هي مجرد محاولة، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٢/أ).

(٢) ليث سعود جاسم: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التـــاريخ، مرجـــع ســـابق، (ص ٣٩٨).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/ب).

(ج) النقد والترجيح.

من الضروري أن يعتني المؤرخ بعد جمع مادته من أصولها أن يتأكد من أصالتها ويتثبت من خلوها من كل دسٍّ وتزوير[1] ولذا يكتسي النقد التاريخي أهمية كبرى، وهو من العلامات التي تعطي المصادر التاريخية وزناً وتظهر قيمة النص التاريخي إذا تميز كاتبه بالدقة والتحليل والترجيح بين الروايات[2].

فهل كان ابن فهد ناقلاً فقط أم اعتمد منهج النقد والتحليل والمناقشة بغرض غربلة الروايات التاريخية ومعرفة الصحيح من السقيم والغث من السمين.

أما عن ابن فهد ومنهجه النقدي فقد كان لمكونات ثقافته أثرها الذي انعكس على منهج النقد لديه، فقد جمع بين منهج النقد عند المحدثين الذي اختص بالخبر الشرعي، وبين النقد التاريخي الذي يعتمد على الشك والفرض وإخضاع الأخبار للنظر والعقل كوسيلة للوصول إلى الحقيقة وقد وفق في هذا الجانب إلى حد بعيد.

فهو مدرك تماماً أن المؤرخ عليه أن يدقق فيما جمع من مادة وينعم النظر فيها ليتأكد من صلاحية استعمالها في تشييد ما يبني من صروح

---

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، مرجع سابق،(ص ٦٧).

(٢) ليث سعود جاسم: ابن عبد البر الأندلسي وجهوده في التاريخ، مرجع سابق، ص٦؛ حيدر مختار: النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية والنهاية، بحث منشور في مجلة قضايا تاريخية الجزائرية، العدد التاسع، رمضان ١٤٣٩هـ، يونيه ٢٠١٨م، (ص ٨٢).

التأريخ[١] ولقد أسهم الرصيد العلمي المتنوع وحذاقة النقد الحديثي لديه في الإفادة منها عند نقد مصادره التي اعتمد عليها في تدوين كتابه حرصًا منه على تقديم مادة تاريخية موثقة مسندة إلى مصادرها، وقد مارس نقدها أولاً بأول في كثير من مواضع الكتاب بحيث يتعقب الأسانيد والروايات والآراء بالمناقشة والنقد والحكم عليها بالقبول أو الرفض، بالصحة أو الضعف، بالتأييد أو المخالفة. بعبارات قاطعة في التوثيق أو التضعيف تعقب بها نقولاته من هذه المصادر.

فلم يكن ابن فهد مجرد ناقل خبر أو سارد حدث وإنما كان محللًا بارعًا وناقدًا بصيرًا يقف بين الحادثة والأخرى بالشرح والتعقيب واستقصاء الحقائق وتعليل الظواهر التاريخية بعبارات النقد الواضحة مثل: «وفيه نظر»[٢]، و«وَهِمَ»[٣]، كما حرص على نقد كُتَّاب مصادره ومناقشة أخبارهم بنفس تأريخي عميق وسعة اطلاع الأمر الذي أظهر شخصيته التاريخية بشكل واضح في جميع كتابه.

ومن أهم ما يمكن ذكره في الملكة النقدية عند ابن فهد هو النقد الداخلي[٤] لمتن الروايات والأخبار بتحليل المحتوى الوارد في الخبر

(١) أسد رستم: مصطلح التاريخ، مرجع سابق، (ص ٥٩).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٣/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩١/ب).

(٤) النقد الداخلي مصطلح يراد تفسير النص التاريخي وبيان معناه ويعرف بالنقد الإيجابي، أو كشف الستار عن مآرب المؤلف وأهوائه ودرجة تدقيقه وهذا النقد السلبي. أسد رستم: مصطلح التاريخ، مرجع سابق، (ص ١١١).

والبحث عن أسباب الأحداث ونتائجها معتمدًا علي ما لدية من ملكة نقدية وعقل رزين.

فنقد محتوى الرواية التاريخية أهم صور النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، فهو يبرز الجهد الذي بذله الناقد ويعكس تفوقه واستيعابه لعلوم كثيرة وتجاوزه لدور الناقل الذي تغيب شخصيته وراء النقول(١).

وقد مارس ابن فهد نقد الأخبار في أغلب مواضع كتابه فعندما يورد خبرًا كان يتمهل قبل قبوله أو رفضه حتى يتأكد من صحته وموافقته للمنطق السليم.

ومن الأساليب التي استخدمها في النقد أسلوب الترجيح أو تضعيف الأخبار ورفضها فيكتب قبلها أو يعقب عليها بعبارات صريحة في الترجيح أو الرفض، مثل قوله: «وأرجحها»(٢)، أو قوله: «والمرجح»(٣)، أو قوله: «والأول أوْلَى»(٤)، ويورد الأدلة على صحة ما يترجح لديه: «واستدلوا بها على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية؛ لأن قيصر إنما وفَّى بنذره بعد الحديبية» (٥).

---

(١) محمد عيساوي: إسهامات الحافظ ابن كثير في النقد التاريخي من خلال كتابه البداية والنهاية، " السيرة النبوية نموذجاً " جامعة محمد بو ضياف المسيلة، الجزائر، (ص ٦).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨١/ب).

ومما درج عليه في هذا الجانب، الدقة والترجيح عند ذكر الأرقام والأعداد المستخدمة في تحديد تاريخ وقوع الأحداث[١] أو مدة حكم السلاطين، أو عدد الجنود وخلافه، و أن يميز بين المؤكد منها لديه وما يعتريه الشك بكلمات واضحة، فأما المؤكد فيعقب عليه بكلمات قاطعة دالة على صدقه التام مثل كلمة «بيقين» أو «بالتعيين» أو «من غير زيادة» أو «مُحَزَّرة»[٢] أو «من غير تخمين»، أو «بالتمام»، التي يؤكد بها على الأرقام والأعداد من ذلك تأكيد المدة التي قضاها المؤرخ ابن عرب شاه[٣]، مع السلطان محمد الأول قال: «نحو عشر سنين بيقين»[٤]، وتحديد السنة التي انتصر فيها مراد الثاني على التحالف الصليبي الخامس[٥] بقوله:

---

(١) اعتنى ابن فهد بتحديد أوقات الأحداث بشكل ملحوظ فيذكر زمن وقوع الحدث في أي أيام الأسبوع باليوم والشهر والسنة. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٠/ب).

(٢) يعني مقدرة محددة لا زيادة فيها ولا نقصان، والحزر التقدير. ابن منظور: لسان العرب، (١٨٥/٤).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، المعروف بابن عرب شاه (٧٩١ – ٨٥٤هـ) مؤرخ ورحالة شامي ولد ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى أدرنة واتصل بالسلطان العثماني محمد بن أبي يزيد ، وأقام بها نحو عشر سنين. السخاوي: الضوء اللامع ، (١٢٦/٢)، ابن العماد: شذرات الذهب ، (٤٠٩/٩).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٧/ب).

(٥) المراد موقعة «فارنا» بين التحالف الصليبي الخامس الذي تكون من المجر وبولونيا وألمانيا وفرنسا والبندقية والدولة البيزنطية تشجعهم البابا وية تحت قيادة القائد المجري «هنيادي»، وبين العثمانيين بقيادة «مراد الثاني» الذي زحف وهو يقود جيشاً بلغ عدده (٥٠،٠٠٠) جندي، وتقابل مع القوات المتحالفة عند «فارنا» (ميناء بلغاري على البحر الأسود) في رجب ٨٤٨ هـ (أكتوبر ١٤٤٤م)، وانتهت بانتصار العثمانيين وقتل من القواد ملك المجر «فلاديسلاف» ومعه الكاردينال «جسارين»، بينما نجح «هنيادي» في الهروب ووقع ما بين ٨٠ – ٩٠ ألف في الأسر وأبيد البقية. إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، (ص: ٤٧)، أحمد آق كوندز و زميله، الدولة العثمانية المجهولة...، (ص: ١١٠)، متولي: الفتح العثماني للشام ومصر، (ص ٤٠).

«وذلك بالتعيين سنة ثمانٍ وأربعين»[١]، وتعيين سنة وفاة الشيخ الكوراني، «مات بالتعيين في سنة ثلاث وتسعين»[٢]، وتحديد عدد جنود الغوري في معركة مرج دابق[٣] «وجملتهم نحو ثلاثين ألف من غير زيادة »[٤]، ومدة إقامتهم بعد المعركة «عشرين يوماً مُحَزَّرة»[٥]، وأعداد قتلاهم «وقُتل منهم نحو ألفي نفس، ومن العربان مثلهم من غير تخمين وحدس»[٦]، وتحديد المدة التي تفصل بين موت سليم الأول وتولية ابنه سليمان القانوني بسبعة أيام «بالتمام»[٧]، وتأكيد السنة التي أغزى فيها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ابنه يزيد قال: «سنة خمسين، وقيل: قبلها بيقين»[٨]، وحسم الخلاف في عدد من قُبِرَ في مدينة بورصة من العثمانيين بقوله: «دفن بها منهم نحو العشرين، وقبورهم معلومة فيها بيقين»[٩]، وعند تحديد تاريخ فتح مدينة

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/ب).

(٢) يعني سنة ٨٩٣هـ، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٠/أ).

(٣) مرج دابق: معركة حربية وقعت بين الدولة العثمانية بقيادة «السلطان سليم الأول» والدولة المملوكية بقيادة السلطان «قانصوه الغوري» في ٢٥ رجب ٩٢٢هـ / ٢٤ أغسطس ١٥١٦م في مكان يسمى دابق، وهو اسم لقرية تقع بالقرب من حلب شمال سوريا بالقرب من الحدود التركية. صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،، (ص: ٢٠٧).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٧/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٩/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥١/أ).

(٧) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٤/ب).

(٨) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٢/ب).

(٩) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٢/ب).

سيواس في عهد بايزيد الأول قال: «بعد موت صاحبها برهان الدين، في أوائل القرن التاسع بيقين»(١).

وأما المشكوك فيه من الأرقام والذي لم يترجح لديه فيحدده بكلمات دالة على ذلك مثل كلمة: «بالتخمين» كما فعل في تاريخ وفاة السلطان مراد الثاني حيث قال: « في المحرم سنة خمس وخمسين(٢)، وهو في أوائل الكهولة بالتخمين»(٣).

بل إنه كان يؤكد بعض المعلومات التاريخية بعبارات تجزم بوقوعها مثل قوله عن مدينة سيواس التي فتحتها السلطان بايزيد بن مراد بن عثمان قال: « بدون إلباس»(٤).

وأهم ما يميز جهود ابن فهد النقدية هو تعليله للأحداث بذكره أسبابها، من ذلك اندهاشه من الخطة العسكرية التي اتبعها العثمانيون في معركة «فارنا» وكانت سبب الانتصار الساحق الذي حققه السلطان مراد الثاني وانتهى بقتل ملك المجر «فلاديسلاف» في رجب ٨٤٨هـ (أكتوبر ١٤٤٤م)(٥)، بقوله: «وفيها أنَّ خُذْلانهم كان على خلاف القِياس لكثرتهم جداً، وتأهبِّهم لذلك من مُدَّة، أضمروا فيها أخذ بلاد سواحل المسلمين

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٢/ب).

(٢) يعني أن وفاة السلطان مراد الثاني كانت سنة ٨٥٥هـ (١٤٥١م) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، (ص: ٦٤)، تامر بدر: دول لا تنسى، تقديم: راغب السرجاني، أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، (ص: ٢٨٠).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣١/أ).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩٢/ب).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/ب).

عرضاً ومدًّا، والتوصل إلى الاستيلاء على بيت المقدس، حسبما كان اللَّعِين لهم به موسوس، فمنّ الله الكريم بخذلانهم، وفتح للمسلمين بالنصر، مع قلة أعوانهم، ومزيد الحصر، وصادفهم وقت المعركة اجتماع عدَّة من الوحُوشِ الكاسرةِ، على طائفة من الغزلان الثائرة، فثار بين الفئتين غَبَرَةٌ عظيمةٌ، وظنَّها الملاعين نَجْدةً من مصر أو غيرها من الجهات المستقيمة، وأشتدَّ رُعبهم وانهزموا، وخذلهم الله»(١).

ومن ذلك إدراكه التام للتفاصيل الدقيقة التي سببت الخلاف بين العثمانيين والمماليك مما أدى إلى نشوب القتال بين الفريقين(٢)، وأسباب هزيمتهم في «مرج دابق» (٣).

وكان موفقاً في تعليل ترك سليم الأول القضاء المصري على حاله بعد ضمه للبلاد: «وأبقى قضاة البلد الأربعة (٤) من أولاد العرب على حالهم؛ لمعرفتهم بأحوال بلادهم»(٥) فهم عرب يتكلمون لغة المصريين ويعرفون أحوالهم.

كما أثبت ابن فهد وعيه التام لأسباب فشل الحملة التي أرسلها السلطان الغوري لصد البرتغاليين عن البحر الأحمر حيث صرح بظلمهم لأهل اليمن

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٩/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٥/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٤٨/ب، ٤٩/أ).

(٤) وهم: كمال الدين الطويل قاضي الشافعية، و محمود بن الشحنة قاضي الحنفية، و محيي الدين بن الدميري قاضي المالكية، و شهاب الدين الفتوحي قاضي الحنابلة. ابن أجا: العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، (ص ٢٩٤).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٦/أ).

الأمر الذي نفّر النّاس منهم وحاربوهم: «وأذاقوا أهلها الظلم والطغيان، وأثاروا فتنة في بلاد اليمن» [١].

لكن قدمه كانت تذل أحياناً فيذكر أسباباً غير واقعية لبعض الأحداث مثل السبب في توصية مراد الأول بقتل ابنه صوجي يقول ابن فهد: «فأشار بولاية ابنه يلدرم المكنى بأبي يزيد، وبإمساك صوجي[٢] ابنه الآخر وقتله بدون تردّد؛ لأنّ أمه نصرانيّة»[٣]، ومن ذلك علل انتصار نائب جدة حسين بك على حملة المماليك سابقة الذكر بقوله: «لكون الله جعل دولة الجراكسة مغلوبة مقهورة»[٤]، وبعد انتصار سليمان القانوني على «الأنكرس»[٥]، في جمادى الآخرة ٩٢٧هـ (مايو ١٥٢١م) أصبح يتمتع بصيت، ومهابة في قلوب أعدائه، وانتشر ذكره في الآفاق، وأصبح له نسب عريق في العراق؛ والسبب في ذلك عند ابن فهد: «لأنه ممن خدمته السعادة، ونال من أعدائه مراده»[٦].

كما شغل ابن فهد نفسه باستخراج العبر واستنتاج الدروس وإبراز النتائج من الأحداث التي أرخ لها في كتابه بحيث يحقق القارئ الغرض من مطالعته، من ذلك نقده لمناصرة المماليك الأمير جمَّ بن محمد الفاتح ضد

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٠/ب).

(٢) والحقيقة أن هذا السب الذي ذكره ابن فهد ليس كافياً بل لأنه حرَّض النصارى على قتال والده. المقريزي: درر العقود الفريدة، (٤٤٣/١).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦١/أ).

(٥) المقصود بالأنكرس المجر وبلاد هنغاريا. متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ، (ص ٢٩)، صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، (ص ٤٠).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦١/أ).

أخيه بايزيد الثاني -كما مر - وما ترتب على ذلك من فساد العلاقات وهلاك الأموال والأنفس، والأجدى من وجهة نظره هو التزام الحياد الذي به يسلم الجميع على حسب تعبيره: «لاندفع تعب كبير، وارتفع نصب عزير، فقد جرت في غضون هذه الأمور حوادث وخطوب، عظمت من أجلها الكُروب، وتلف فيها رجال، وكثير من الأموال»[١].

ومما يذكر في باب النقد عند ابن فهد نقده للأوضاع السائدة في عصره ففي كتابه «نيل المنى» نقد السلطة العثمانية التي بسطت سلطانها على بلاد الحجاز من سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م)، فتكلم عن شيء من الأخطاء التي وقع فيها بعض المسئولين العثمانيين في سياستهم التي يتبعونها في مكة المكرمة وما حولها مثل: سوء معاملة الأتراك لأبناء العرب وتفضيلهم للأعاجم عليهم وتولية أمراء جدة ممن لا يعرفون اللغة العربية ولا عادات وخصائص العرب[٢]، ونقد النظام القضائي بتسجيل بعض المخالفات التي تقع منهم كبيع الوظائف ووضع القوانين الجائرة[٣]، وفي الوقت نفسه لم نجد له نقداً مباشراً للأشراف أصحاب السلطة في الحجاز، وإنما كان على العكس من ذلك لا يذكرهم إلا بالمدح والدعاء[٤].

وأما هنا في كتاب «الجواهر الحسان» الذي ألفه ليقدمه للسلطان سليمان فقد تغيرت البوصلة تماماً حيث كف عن نقد العثمانيين المباشر وغض الطرف عن تجاوزاتهم، واكتفى في بعض الأحيان بنقد خفيف كأنه

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٥/أ).
(٢) جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (٣٦٣/١، ٣٦٤، ٣٧٧).
(٣) جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (٢٤٤/١، ٢٤٥).
(٤) جار الله ابن فهد: نيل المنى بذيل بلوغ القرى، مصدر سابق، (١٧/١).

مجرد عتاب مبطن بغطاء كثيف من المدح والتأييد، وأما خصومهم فقد نقد سياستهم نقداً لاذعاً وبين عورهم بل تحامل في بعض الأحيان ضدهم.

فمن التجاوزات العثمانية التي وصفها ابن فهد بأخف العبارات: طريقة وصول سليم الأول إلى الحكم، بعد خروجه على أبيه(١) وقتله لإخوته؛ بل إنه لم ينص على القتل وإنما ستر هذه الجرائم بعبارات ضعيفة لا تفصح عن وجه الحقيقة، حيث قال عن خروجه وقتله لأبيه: «فتجهز لأبيه، ووصل إليه قبل وصول أخيه، فتولى عِوَضه المُلْك في حياته... فقدر الله تعالى موت الأب»(٢)، وإمعاناً في التمويه قال ابن فهد في موضع آخر: « وبلغه وفاة والده...، فتوجه إليه، وحزن كثيراً عليه»(٣)، وأما قتله لإخوته فعبَّر عنه بقوله: «ومات أخوه(٤) المشار إليه في الوقعة المذكورة، وتبعه بقية إخوانه على الصِّفة المشهورة، وبعدهم صفى له الوقت...» (٥).

ومن هذه التجاوزات التي غض الطرف عنها قتل العثمانيين لأسرى المماليك بعد معركة الريدانية: « فالذي أسر منهم جعلوه إشارة لنبلهم،

---

(١) خرج سليم الأول على أبيه واستأثر بالحكم من دونه ثم قتله بالسم. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٨٧؛ أبو زيدون: تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص ٧٦، جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٧/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٧/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٤/ب).

(٤) قتل السلطان سليم الأول أخاه أحمد بن بايزيد سنة ٩١٩هـ ثم أعقبه بجميع إخوته وأولادهم؛ حتى لا ينافسه أحد على الحكم. آصاف، يوسف بن همام: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى النهاية، مكتبة النافذة، الجيزة، ط١ ٢٠١٣م، ص ٧٦، محمد فريد بك: الدولة العلية العثمانية ، (ص ١٨٨).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٨/أ).

وغذاءً لسيوفهم»[1]، وكذا تجاوز عن شنق طومان باي على باب زويلة: «ثلاثة أيام»[2]، وطمسه للمعالم المملوكية: « وأخرب كثيراً من آثار العساكر الجركسية، بالديار الشامية والمصرية »[3].

بل هناك تجاوزات علق عليها ابن فهد بعبارات تأييد وتبرير مثل: المبالغة في العقوبات زمن «بايزيد الأول» الذي كان يعاقب بالقتل شنقاً على مخالفات لا تستوجب القتل يذكر ابن فهد: «أن بعضهم شكى إليه مرَّة رجلاً فرَّق بين نسائه في توجههن إلى الحمَّام ومرَّ بينهنَّ، فأمر بشنقه...، وشكى إليه آخر أنَّ بعض العسكر مرَّ بفرسه في زرعه، فأمر بشنقه»[4]، فهذا الحكم على ما فيه من شدَّة، ومبالغة في العقوبة، وعدم التناسب بينها وبين الذنب، واستهانة بالأنفس فإن ابن فهد برَّرَه وأيده بقوله: «حتى لا يتعرض أحد لحريم أحد من الصبيات غير البغايا»، وقوله: «حتى لا يتعرض أحد لمال غيره » [5].

وعلى الرغم من أن ابن فهد عاش فترة من الزمن في بلاد خاضعة للمماليك فإنه تشفى في قتلاهم ولم ينقد بشاعة العثمانيين في التنكيل بجثثهم: «وهربوا إلى بحر النيل وغرقوا كقوم فرعون اللئيم، وجُعلت دماؤهم مسفوحة، وأبدانهم مطروحة، ولم تقع عين إلا على أشلاء طريحة، وأعضاء

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٣/ب).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٨/ب).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٠/أ).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/أ).
(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٦/أ، ٢٦ب).

جريحة، وأصابع مَقْصومة، وأشاجع[1] مفصومة، وصدور مرضُوضة[2]، ونحور مفضوضة، وأجساد مُنصّفة، وأعضاء مقصّفة، بحيث صارت غذاء للهوام، ووطأة للعوام»[3].

وفي الوقت نفسه لم نجد له نقداً مباشراً للأشراف أصحاب السلطة في الحجاز، ففي حملة المماليك على اليمن نقدهم ونائبهم على جدة ومدح الشريف بركات ووصفه بزعيم الحجاز[4].

وأما عن أبرز ما نقده ابن فهد من سياسات العثمانيين في كتابه طريقة توزيع الصرة في مكة المكرمة التي رآها ابن فهد غير محكمة حيث خصص النصيب الأكبر منها للمجاورين بينما حرم المحتاجين من المكيين منها في وقت كانوا في مسيس الحاجة إليها يقول جار الله بن فهد:« مع أن سلطان زماننا...ممن يصل أهل الحرمين، في كل عام بالخيرات، والصلة المباركة والمبرَّات، لكنَّها صُرَرٌ مرتَّبة لسكان مكة من العجم والروم، وليس لأهل مكة مرتَّبٌ معلومٌ، فأنكسر خاطر من ليس له منهم صُرَّة »[5]، إلى أن قال: «فهؤلاء رعيَّتُك في بلدك، وعائلَتُك الخاصة بك، قال صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يعُولُ [6]، وقال ﷺ: كلكم راعٍ

(١) الأشاجع: جمع أشجع وهي عروق ظاهر الكف. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (ص ٤٧٣).

(٢) المرضُّوضة: المدْقُوقة أو المكسورة. ابن منظور: لسان العرب (١٥٤/٧).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٥٤/أ، ٥٤ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٦١/أ).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٧/ب، ١١٨أ).

(٦) أخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ): السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٢٦٨/٨حديث رقم(٩١٣١)، والحاكم في المستدرك، الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (٥٤٥/٤ حديث رقم (٨٥٢٦).

وكلكم مسئولٌ عن رعيته»[1] والجدير بالذكر أنه في نقده هذا كان ناقلاً من موعظة شيخه ابن عراق التي وعظ بها السلطان سليم الأول [2].

وأما خصوم العثمانيين فكان دائم النقد لهم بأسلوب يخرجه أحياناً عـن الموضوعية، من ذلك نقده للموقف المملوكي المناصر لبعض الخارجين من العثمانيين عن السلطنة أمثال الأمير جم[3].

ومن أوضح الأمثلة على هذه النزعة عند ابن فهد موقفه من جان بردي الغزالي[4] الذي كان نائباً للمماليك على بـلاد الشـام فخـانهم لمصـلحة العثمانيين وعيَّنه سليم الأول نائباً في الشام[5] فمدحه ابن فهـد ولـم ينقـد خيانته للمماليك؛ وبمجر وقوع الخلاف بينه وبين سليمان القانوني نقده نقداً لاذعاً وفضح خيانته بأسلوب قاسٍ بقوله: «وخالف عليهم منهم نائب الـبلاد الشامية الغزالي جان بردي، من هو كتصحيف أسمه خَاينٌ رَدِيء»[6].

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢١/أ)، والحديث أخرجه البخـاري (ص ١٥٨حديث رقم (٨٩٣) ؛ ومسلم (٣ / ١٤٥٩حديث رقم(١٨٢٩).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (١٢٠/أ،١٢٧/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٣٤/أ، ٣٤/ب).

(٤) جان بردي بن عبد الله الشهير بالغزالي، أحد مماليك الجراكسة. تولى حماة ثم دمشق، فلما قتل السلطان الغوري وتولى طومان باي عينه في دمشق، ثم خانه لصالح السلطان سليم الأول الذي ولاه الشام ولما خالفه أرسل له عساكره بقيادة الوزير فرحات باشا فقتلـه فـي صفر ٩٢٧هـ (١٢ يناير ١٥٢١م). الغزي: الكواكب السـائرة (١٧٠/١)؛ ابـن العمـاد: شذرات الذهب (٢٠٧/١٠).

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٥٤/ب، ٦٢/أ).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٥/ب).

(د) الاستطراد والاختصار.

مما يلفت النظر في أسلوب ابن فهد ومنهجه في عرض كتاب الجواهر هو كثرة الاستطراد كما سبق الكلام عن الموضوعات التي أضافها للكتاب ولا تدخل تحت عنوانه الرئيس، فلن أعيد الكلام عنها مرة ثانية، وإنما أريد أن أتحدث عن استطراده داخل الموضوعات التاريخية المطروقة نفسها فيخرج عنها إلى فرعيات ويستغرق في نقل لوحات كاملة من مصادر ثانوية بعيدة عن صلب المطلوب، لكنه في بعض الأحيان كان يتنبه لهذه المشكلة فيكبح جماح قلمه ويكف عن التوسع مؤثراً الاختصار خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مسار الدراسة.

الاستطراد: كان ابن فهد يخرج عن الحدود الأساسية للتراجم والمناقب إلى موضوعات فرعية وحوادث ثانوية تخص المترجم لهم أو لا تخصهم مما هو مندرج في مصادر التاريخ والتراجم أو غيرها من كتب التفسير، ربما كان يرى أنها مكملة للصورة وليست منفصلة عن الإطار العام له مثل التوسع في تفسير معاني الآيات التي استشهد بها في فضل الروم فنقل طويلاً من كلام المفسرين أمثال الكواشي وابن كثير حوالي ٢٢ لوحة في تفسير مطلع سورة الروم وما حدث بين الفرس والروم من حروب في صدر الإسلام يستعرض خلالها ما ورد من روايات تاريخية يسوقوها دون ترجيح، ثم يتفرع من فرعيات إلى جزئيات أدق وأبعد عن موضوع الكتاب(١).

(١) مثل تعريف لقب هرقل وقيصر، وكسرى جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات(٧١/ب – ٨١/ ب).

الاختصار وتجنباً لهذه الإطالة، أوجز ابن فهد في أحياناً ترجمة بعض السلاطين بحيث لم يذكر تفاصيل كثيرة عن أحداث حكمهم أو مناقبهم لكنه من ذلك لم يكن يهمل الأخبار والأحداث الرئيسة، ومن هنا جاءت أغلب التراجم في لوحتين أو ثلاث كما سبق توضيحه.

ومما يسجل لابن فهد أنه أوجز كثيراً في بعض المواضع الخارجة عن موضوع الكتاب يختصر عرضها ثم يختم كلامه عنها بقوله (وملخص ما ذكره قوله)(١)، أو بقوله: (وقد اختلف في معنى الجملتين أنظار العلماء ويتخرج عليه من المسائل ما لا يحصى، وبعضه مذكور في أصله فلتراجع هناك) (٢)، أو قوله: (وفي المسألة كلام طويل منقول في محله فليراجعه من أراده) (٣)،وقوله: (ونقل الكرماني (٤) هنا أقوالاً كثيرة ليست من غرضنا، وقصدنا الاختصار هنا، وما ذكرناه فهو قُل من كُثْرْ، وجزء من عشر، فنكتفي بذلك) (٥)، ومن الموضوعات التي اختصرها رحلة علماء المشرق إلى السلطنة العثمانية أيام السلطان بايزيد الأول حيث اكتفى بذكر اثنين فقط من العلماء رغبة في الإيجاز وعدم الإطناب «إلى غيرهما من شيوخ الإسلام، الذي يطول في شأنهم الإعلام»(٦) كما لخص السفارات

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١/أ).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/أ).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/أ).
(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف الكرماني، الشيخ شمس الدين (٧١٧هـ / ٧٨٦هـ)، ابن حجر: إنباء الغمر، (٢٩٩/١)، ابن العماد: شذرات الذهب، (٥٠٦/٨).
(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢/أ).
(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة٥ف (٢٥/أ)، والجدير بالذكر أن الوافدين على السلطان المذكور أعلاه كثيرون منهم: شمس الدين محمد بن علي الحسيني البخاري، وبدر الدين محمد المعروف بابن قاضي سماونة، والمولى أحمدي... وغيرهم. زاده: الشقائق النعمانية ، (ص ص ٣٢-٣٥)؛ أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية ، (ص ص ٦٧-٧٢).

والمراسلات بين المماليك والعثمانيين وختمها بقوله: « إلى غيرهما من المراسلات التي يطول شرحها»(١)، وعند كلامه عن العلماء المنتسبين لبلاد الروم ذكر جماعة منهم ثم قال: «وهذا باب واسع يصلح إفراده بالتأليف»(٢)، وفي هذا دليل على ادراك ابن فهد أن جل هذه الموضوعات خارج عن صلب الكتاب، وفيه دليل أيضاً على موسوعية ثقافته وفي الوقت نفسه محاولة التزامه بموضوع الكتاب.

(هـ) التأريخ الشخصي للسلاطين.

اعتنى ابن فهد بالتأريخ الشخصي للسلاطين العثمانيين وركز على إبراز أرقام وأوصاف خاصة في حياتهم فسلط الضوء عليها عند جميع من أرخ لهم من خلال النقطتين التاليتين:-

أ- تحديد تاريخ ميلاد كل سلطان وتاريخ وفاته، وسنَّه عند التولية، أو عند الموت، ومدَّة حكمه.

من ذلك السلطان بايزيد الأول الذي قال عنه «مات في ذي القعدة،...في سنة خمس وثمانمائة، عن نحو خمسين سنة كان تسعاً منها في المملكة البهية»(٣)، وحدد مدة حكمه في موضع آخر بقوله: «ومدة مملكته تسع سنين»(٤).

كما حدد فترة حكم مراد الثاني في بداية ترجمته بقوله: «فإنه بقي في المملكة أكثر من ثلاثين سنة»(٥)، وأما بايزيد الثاني بن محمد الفاتح فقد

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٦/ب).
(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٨/ب).
(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٥/أ).
(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٧/أ).
(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢٨/ب).

تولى السلطنة بعد أبيه «وقد زاحم من العمر أربعين»(1)، وممن اعتني بهم ابن فهد عناية فائقة السلطان سليم الأول الذي حدد تاريخ وفاته:« في ليلة الجمعة ثامن شوال من السنة المذكورة(2)... وكانت مدة مملكته بعد والده تسع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام، ومملكته للديار المصرية ثلاثة أعوام»(3).

ب – أبراز بعض الصفات الخلقية التي يتميز بها بعضهم، كلون البشرة وطول القامة وطبيعة شكل الوجه والأنف، مثلما وصف السلطان عثمان المؤسس بقوله: «كان طويل القامة أسْمر اللَّون أقنى الأنف»(4).

(و) الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر العربي.

لقد غلبت على مؤرخنا ابن فهد ثقافته الإسلامية الأمر الذي جعله دائماً يقوم تأصيل معلوماته وتوثيقها عن طريق الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فأما القرآن الكريم فقد استشهد بآياته حوالي ستين مرة، لكنه في الأغلب كان يُعَرِّض بالآيات ويسوقها لخدمة السياق والأسلوب، ويوظف ألفاظها في تعديد مناقب السلاطين بغرض مدحهم بغض النظر عن صحة الاستدلال من عدمه الأمر الذي يجعله يجنح بها عن مدلولاتها بشكل ربما يوقعه في المخالفات الشرعية: مثل وصفه عرض جنود سليم الأول الذين خرج بهم للقاء الصفويين ٩٢٠هـ (١٥١٤م)، بقوله: «وكان عرضهم

---

(1) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٢/ب).

(2) ٩٢٦هـ (١٥٢٠م).

(3) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٣/أ).

(4) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٢١/أ).

مذكراً ليوم العرض، ومن شاهدها تلى قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾»(١)، وقوله عن معركة غزة بين العثمانيين والمماليك في ٢٦ ذي القعدة ٩٢٢هـ (٢٢ ديسمبر ١٥١٦م) «ثم غُلب الجراكسة وولَّوا للهروب، فهبَّ نسيم الفتح والظّفر في هذه الوقعة الشهيرة، وتلى عسكر الروم قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾»(٢)، وقوله عن الصفويين في معركة شالديران ٩١٦هـ (١٥١١م): «فمطرت عليهم البنادق والحجارة، ﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾(٣)، فصار حسب حالهم ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾» (٤).

وكلامه عن بعض صفات السلطان سليمان ومناقبه فيه تعريض بآيات من سورة النبأ: «يسأل الركبان في البر عن مناقبه الشريفة، وعمَّ يتساءلون وقد صار لهم عظيم النبأ»(٥)، كذلك عند الكلام عن عدله قال: «ونادى منادي عدله في الآفاق لا ظلم اليوم»(٦).

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣٩/أ)، والآية من سورة الفتح: رقم ٤.

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥١/أ)، والآية من سورة التوبة: رقم ٢٥.

(٣) سورة البقرة: آية ١٩.

(٤)جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٤٢/أ،ب)، والآيات من سورة يس: رقم ٤٩، ٥٠.

(٥) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٨/ب).

(٦) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١١٨/ب).

وأما الاستشهاد بالسنة النبوية ففي المقدمة جمع عدداً من الأحاديث الواردة في الهدية للملوك بدأها «بحديث الأعمال بالنيات، على طريقة الحفاظ الثقات»[١].

ومجموع ما استشهاداته بالسنة النبوية تربو عن سبع وثمانين موضعاً مع حذف أغلب الأسانيد حتى لا يضخم حجم الكتاب، وليحافظ على التتابع والترابط في سرد الأحداث، مكتفياً بأصالة المصدر «وانتقيت الأحاديث... من بطون أمّهات الكتب المبوبة والمسندة، واقتصرت على العزو فيها اكتفاء بأنَّ أكثر ما فيها معتضد، خشية من التطويل بإقامة الدّليل والتّعليل»[٢].

وكان يورد بعض الأحاديث بالمعني ولا يلتزم باللفظ مثل حديث: «زويت لي مشارق الأرض ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها»[٣].

وهذه الأحاديث متفاوتة الإسناد منها ثلاثة عشر حديثاً درجته حسن، اثنان منها قيل عنه: حسن صحيح، وستة: حسن غريب، وقال الترمذي عن ثلاثة منها: لا نعرفه إلا من هذا الوجه كحديث أبي سعيد قال: « لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به،

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٣/ب).

(٣) ولفظ الحديث أخرجه مسلم ، عن ثوبان رضي الله عنه: إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها...، (مسلم: الصحيح، ٢٢١٥/٤رقم (٢٨٨٩)، ابن فهد: الجواهر الحسان... لوحة ١/ب.

وأنزل الله تعالى: ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»[١]، ولم يخل كتابه من الأحاديث الضعيفة أو الباطلة حيث أورد خمس عشرة حديثاً ضعيفاً، منها ما ساقه ليخدم الفكرة الأساسية من تأليف الكتاب مثل حديث: «ما أهدى المرءُ لأخيه هدية أفضل من كلمة حِكْمة يزيده الله بها هدىً، أو يردّه بها عن ردى»[٢]، لكنه يورد بعده ما أعلى منه إسناداً ليتقوى به مثل قوله: (وأعلى من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: « نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها ثم أدّاها إلى مَنْ لم يسمعها») [٣].

ومن الأحاديث التي جمعها وحكم عليها العلماء بالبطلان حديث: «مَنْ جلس في حرّ مكة ساعة – أي صبر عليه – باعد الله عنه جهنَّم سبعين خريفاً»[٤].

والجدير بالذكر أن ابن فهد كان ينقل الأحاديث التي يستشهد بها من الصحاح مباشرة –وهذا هو الأغلب– أو يرويها بسنده مسلسلاً عن شيوخه

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٠/ب).

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ (٤١٩/٩). ابن فهد: الجواهر الحسان... لوحة (١٣/ ب).

(٣) الألباني: محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، (١١٤٥/٢)، حديث (٦٧٦٦). ابن فهد: الجواهر الحسان... لوحة (١٣/ب).

(٤) ابن فهد: الجواهر الحسان... لوحة (١١١/ ب)، وهو حديث باطل لا أصل له. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ، (٤٥/٣).

كأن يقول: رويناه، أو روييناه أو إحدى مشتقاتها(١)، إلا أنه بعض الأحيان كان ينقلها من مصادر غير حديثية مثل تفسير ابن كثير، من ذلك الحديث الذي رواه الترمذي «عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر في مبايعته ألم غلبت الروم: ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع»(٢).

ومن الموضوعات التي استشهد فيها بالأحاديث النبوية ما يتعلق بفضل بلاد الروم أو فضل بلاد الحرمين الشريفين وهذا المنهج في الاستشهاد بالحديث النبوي في فضائل بعض المدن قد سبقه إليه مؤرخو المدن أمثال البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، صاحب «تاريخ بغداد»، وابن عساكر(٥٧١هـ / ١١٧٥م) صاحب «تاريخ دمشق»، وابن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) صاحب كتاب «تاريخ حلب» وغيرهم ممن اعتنى بالتاريخ البلداني(٣).

وفي الخاتمة أورد المؤلف عدداً من الأحاديث المنبهة لفضل السلطنة، ووجوب السمع والطاعة للسلطان، وعدم عصيانه في الطاعة، والتحذير من الإقامة في بلد من البلدان ليس فيها أمير ولا سلطان(٤).

---

(١) استخدمها ابن فهد تسع مرات في الكتاب. جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات: (١٠/أ)، (١٦/ب)، (١٨/أ)، (٨٦/أ)، (٨٦/ب)، (٨٧/ب)، (٩٦/أ)، (١٠٣/ب)، (١٠٧/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٨٠/ب).

(٣) المهدي عيد الرواضية: اتجاهات الكتابة التاريخية في حلب ومنهج مؤرخها ابن العديم من خلال كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠١٧م، ص ٤٦.

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٩/أ).

وبهذا يكون ابن فهد قد أطنب في الاستشهاد بالأحاديث النبوية بشكل ربما يجعل الباحث يعزوه إلى محاولة سد النقص الذي اعترى مصادره فأخذ يعوض ذلك بما لديه من رصيد حديثي، ومن أساب ذلك أيضاً إمعانه في إطراء العثمانيين وبلادهم حتى يزداد قرباً منها لنيل عطائهم.

ومن الملحوظات التي تؤخذ عليه في الاستشهاد بالأحاديث النبوية أنه أحياناً يجانبه الصواب في توظيف الأدلة فيسوق الأحاديث في استشهادات في غير محلها، من ذلك أنه أراد أن يدلل على مشروعية الإهداء للسلطان حتى ولو بالنصيحة فأورد مجموعة من الأحاديث في التحذير من مدح السلطان ومداهنته بينما كتابه الذي سيقدمه هدية عبارة عن سجل من المناقب والمدائح(١).

وأما عن استشهاده بالأشعار العربية فقد بلغت شواهده الشعرية إحدى وثلاثين شاهداً، ستة عشر منها منسوبة إلى قائلها والباقي، أربعة عشر شاهداً يكتفي فيها بعبارات الإحالة المفتوحة «بقول القائل»(٢)، «ولله درّ بعض الشعراء»(٣)، «وقال بعض الشعراء»(٤)، «ولله در بعضهم حيث

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٨/أ)، مثل: « وروينا أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كتبت إلى أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه: أما بعد: فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مُؤْنة الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) والسلام عليك». والحديث أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، (ص ٣٩٥حديث رقم (٢٤١٤) وصححه الألباني.

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤٨/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٩/أ).

قال»(١)، «وما أحسن قول بعضهم»(٢)، «ولله در بعض الشعراء المتقدمين»(٣) إلخ.

ولا شك أن اهتمام ابن فهد بالشعر نابع من إدراكه أهميته، فالشعر بمثابة المرآة التي تعكس أحوال المجتمعات، لذا ضمَّنه كثيرًا من أحداث كتابه، ونقل الأشعار والمدائح التي نظمها معاصروه في السلاطين العثمانيين والتي يجملون فيها شيئًا من أخبارهم وأوصافهم إنجازاتهم الحربية ضد أعدائهم.

من ذلك الشعر الذي قاله العلماء في مدح السلطان سليم الأول وذكر امتلاكه للشام ومصر أمثال الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد العلائي (٤).

وأما عن أغراض الأشعار الواردة في كتابه فهي لا تعدو أن تكون أشعارًا نقلها مما قاله السابقون بغرض مدح السلاطين أو وصفهم وذكر مناقبهم أو الفخر بانتصاراتهم في معاركهم وحروبهم ضد أعدائهم، أو أشعار رثاء لمن مات منهم.

فمما استشهد به لغرض المدح قول ابن عمار الأندلسي، يمدح المعتمد بن عباد، وقيل والده المعتضد بالله عباد بن محمد:(٥).

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ونحاه لا يردون حتى يصدرا

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٥/أ).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٦٨/أ).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (١٢٧/ب).

(٤) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٥/ب) وهو محمد بن أحمد بن علي بن إدريس، بدر الدين العلائي الرومي الحنفي المصري المؤرخ (٨٥٦هـ - ٩٤٢هـ). السخاوي: الضوء اللامع(١٠/٧)، الغزي: الكواكب السائرة (٧١/٢).

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب ،(٣٣٥/٥) ، ابن دحية، عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت، (ص ١٦٩-١٧٠).

وهذا البيت استعاره ابن فهد ليمدح به السلطان سليمان القانوني(١).

كما استعار قول أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد القيرواني (ت٤٦٠هـ)، في مدح شيخه أبي الحسن علي بن أبي الرجال، للسلطان المذكور نفسه حيث يقول: وكأنّ هذا البيت أنشاه قائله فيه: «سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل» (٢).

وقد تنوعت الشواهد الشعرية طولاً وقصراً حسب الحاجة فمرة يكتفي ببيت واحد ومرة يستشهد ببيتين أو ثلاثة، وقليلاً ما يسرد القصيدة كاملة.

وأما عن أصحاب هذه الأشعار فكان ابن فهد يورد أشعاره أشعار المعاصرين أو السابقين مما يراه معبرًا عن موقف يراه أو مؤيدًا لفكرة يعضدها أو نحو ذلك.

مثل القصيدة التي قيلت في انقراض الدولة الجركسية، وتملك السلطان سليم الدِّيار المصرية (٣).

ولم يهتم ابن فهد بمسألة نسبة الأشعار إلى بحورها غير أن أكثرها كان ينتمي إلى البسيط والكامل فأما البسيط فقد استشهد منه بتسعة شواهد ومن مخلع البسيط بشاهدين، ثم يأتي بحر الكامل في المرتبة الثانية فيستشهد منه بسعة شواهد من أخذ الكامل بشاهد، وأما بحر السريع فيأخذ منه ثلاثة والطويل شاهدين ومجزوء الرمل ومجزوء الخفيف كل واحد منهم شاهد واحد فقط.

---

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٢) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٤/ب).

(٣) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحة (٥٩/ ب، ٦٠/ أ).

(ز) المنـهج الوصفي.

استخدم ابن فهد منهجاً واضحاً في وصف بعض بلاد الروم وما تشتمل عليه من المعالم الجغرافية، فوصف طبيعتها ومواقعها، وذكر مساحة كل مدينة وما يحيط بها من تحصينات (أسوار، وحصون، وقلاع)، وما تشتمل عليه من أنهار وعيون وآبار وما بها من مظاهر الحضارة العمرانية (قصور، ومساجد، وكنائس، ومدارس، وتكايا، وشوارع، وأسواق، وحمامات، وفنادق) فنجح ابن فهد أن يقدم صورة مكتوبة عن كل مدينة عرَّف بها كأن القارئ رآها رأي العين؛ لكنه كان يبالغ في إبراز جمالها ولم تكن له طريقة نظامية في عرض ما ترجم له من المدن فلم يرتبهم حسب المنهج التاريخي فيقدم الأقدم فتحاً ثم التي بعدها حتى النهاية، ولم يرتبهم حسب الترتيب المعجمي بل ذكر مدناً فتحت متأخرة وقدهما على مدن أسبق منها فتحاً[(١)].

(١) جار الله ابن فهد: الجواهر الحسان، لوحات (٨٨/ ب– ٩٣/أ).

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وله الشكر الدائم في المحيا والممات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البريات وآله وصحبه وأزواجه الذي جعلهم الله للمؤمنين أمهات وبعد.

فبتوفيق من الله تم هذا إنجاز هذه الدراسة عن منهج ابن فهد المكي في: كتابه الجواهر الحسان الذي ألفه ليعدد فيه مناقب السلطان سليمان بن عثمان، عندما أقبل على زيارته في عاصمة دولته، تناول فيه ابن فهد عدة موضوعات تخدم فكرة العنوان، وموضوعات أخرى تخدم هدفه من تأليفه وهو استعطاف السلطان المذكور وحاشيته حتى يلفت أنظارهم إلى الغلاء الذي أصاب مكة المكرمة وحاجة أهلها ومجاوري الحرم إلى النفقة والإحسان.

وقد وضع ابن فهد خطة للكتاب وقسمه بما يتوافق وأسباب التأليف التي ذكرها في المقدمة لا ما يتوافق مع العنوان، الأمر الذي أدى إلى أن محتوى الكتاب لم يكن متوافقاً تمام التوافق مع عنوانه.

كما اجتهد ابن فهد في تقسيم الكتاب وتبويبه وعنونة موضوعاته بعناوين بارزة تدل على ما اندرج تحتها من معلومات، أصاب في جلها وجانبه الصواب في بعضها، ولعل السبب في ذلك أن بعضها لم يكن من وضع المؤلف وربما أن يكون الواضع لها و الناسخ.

وأما عن أسلوب ابن فهد في الكتابة التاريخية، فقد تميز بالضبط اللغوي، وسلامة قواعد النحو والإملاء، اللهم إلا في بعض المواضع التي وردت فيها بعض الأخطاء التي يتحمل الناسخ النصيب الأكبر منها فهي هنات لا يقع فيها مؤرخ كبير كابن فهد، كذلك برز لديه الأسلوب الأدبي

المنمق البسيط الذي لم يخرجه عن ذكر الحقائق التاريخية والتـزم منهجـاً منظماً في بناء التراجم وسرد المناقب من خلال صفات هدف إلى إظهارها في السلاطين.

ولما كان ابن فهد وليد ثقافة عصره فقد تأثر بأسلوب من سـبقه ومـن عاصره من المؤرخين وأثر فيمن لحقه.

ومما تميز به ابن فهد أنه كان نشيطاً في جمع مادة هذا الكتاب وحصد معلوماته صائباً اختيار مصادره من بين أمهات المصادر ناقداً لما فيهـا، حريصاً على التأكد من صحة مروياته الشفوية منها والمكتوبة، ودقيقاً فـي إثبات مشاهداته.

ومع جودة مصادره وأصالتها إلا أن ابن فهد تأثر بشكل واضح بعوامل المعاصرة، فأغرق في مدح العثمانيين وبالغ ذي ذكر مناقبهم وذم أعـدائهم وانتهج في ذلك منهجاً لم نعهده منه في مؤلفاته السابقة، ولعله في هذه المرة التي يكتب فيها للسلطان لم يستطع أن يفصح عن آرائـه فـي الأوضـاع المحيطة به واستغرق كل الجهد في مدح السلاطين وغض الطرف كلية عن تجاوزات بعضهم بل برر بعض جرائمهم، وكل ما استطاع أن يسجله مـن نقد للعثمانيين هو نقده لبعض الأوضاع في الحجاز الذي قدمه في صـورة عتاب رقيق مغلف بالدعاء للسلطان سليمان راجياً منه أن يتجـاوزه نـاقلاً مواعظ من سبقه من العلماء للسلاطين السابقين.

وعن طريقته في التوثيق من المصادر فكانت جيدة لم يخالف أصـول التوثيق إلا في بعض المواضع التي لم يوثق فيها ما أخذه مـن مصـادره، لكنه في ما دون ذلك نصَّ على جميع مصادره بطرق متعددة.

واتبع المنهج التاريخي في عرض الأحداث حسب التعاقب الزمن في كثير من مواضع الكتاب وسرد بعض الأساطير والحكايات التي لم يسلم منها مؤرخ يكتب عن بدايات الدولة العثمانية تلك الفترة التي غابت فيها الحقائق التاريخية، وكان ينوع في عرض الموضوعات بين الاستطراد والاختصار، لكن عنايته بالسلاطين كانت حاضرة فأرخ لهم وذكر مناقبهم وحدد أعمارهم وسنوات مولدهم ومدة بقائهم في الحكم ووصف بعضهم وصفاً شخصياً، ووصف كثيراً من المدن العثمانية وأحوالها المناخية والطبيعية.

وتوثيقاً لما أراد أن يقدمه من معلومات عن فضل بلاد الروم أو فضل الإهداء للسلاطين فقد استشهد بالقرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من المواضع واستخدم الآيات والأحاديث لخدمة السياق بغض النظر عن صحة الاستدلال وفي نهاية المخطوط استشعر ابن فهد الذنب بسبب الإغراق في المدح فقدم اعتذاره وختم باستغفاره، رحمه الله رحمة واسعة، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، المعروف بالتحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ.

٢- إبراهيم بن حمود المشيقح: جار الله بن فهد المكي مؤرخاً، رسالة دكتوراه غير منشورة، بجامعة الإمام، الرياض ١٤١٢هـ.

٣- إبراهيم بن عامر بن علي العبيدي المالكي: قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، طبعه محمد أمين، مطابع جريدة شمس الحقيقة، مصر، ١٣١٧هـ.

٤- ابن بطوطة: الرحلة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، ط١،(د – ت)

٥- أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ): تاريخ زيني دحلان المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، و رأفت عبد العزيز، مطبوعات أرض الحرمين (د – ت).

٦- أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م.

٧- أحمد بن الحسين البيهقي، أبو بكر (ت ٤٥٨هـ): السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٨- أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ): السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٩- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني(ت ٤٣٠هـ):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٠- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط ٣، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

١١- أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ): تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٢- أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري المقريزي (٧٦٠-٨٤٥هـ): درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٣- أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني المصري المقريزي (٧٦٠-٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق: محمد زينهم، و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٤- أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١٥- أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ.

١٦- أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، الرياض.

١٧- أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٨- أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الفكر، دمشق١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٩- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٢٠- أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

٢١- أحمد بن محمد بن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت:٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٢- أحمد بن محمد المكي الشافعي الحضراوي ت ١٣٢٧ه: الجواهر المعدة في فضائل جدة، تحقيق د: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣ه - ٢٠٠٢م.

٢٣- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٤- أحمد بن يحيى بن أبي حجلة، شهاب الدين التلمساني(ت ٧٧٦هـ)، سكردان السلطان، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٥- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م.
٢٦- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٢٧- أسد رستم: مصطلح التاريخ، مركز تراث للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة، صفر ١٤٣٦هـ / ديسمبر ٢٠١٤م.
٢٨- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء (ت٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٩- أماني جعفر المغازي: الدولة العثمانية من خلال كتابات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، «عرض ونقد وتحليل»، الأعمال الثقافية، ط ١، جدة، السعودية، ١٤٣٣هـ.
٣٠- أوليا جلبي: سياحتنامة مصر، المجلد العاشر، ترجمة محمد علي عوني، تحقيق د/ عبد الوهاب عزام، و د/ أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة: د أحمد فؤاد متولي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٣١- تامر بدر: دول لا تنسى،تقديم: راغب السرجاني، أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، القاهرة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
٣٢- ثامر نعمان مصطاف، ماجد ثامر مجلي: مشاهير مؤرخي مصر والشام والعراق في العصر العثماني ومصنفاتهم التاريخية، ٩٢٣-١٣٣٣هـ / ١٥١٧ - ١٩١٤م، بحث منشور في مجلة كلية التربية / العدد الحادي عشر، واسط، العراق، ٢٠١٢م.
٣٣- جار الله بن العز بن النجم بن فهد المكي: نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، (تاريخ مكة المكرمة من سنة ٩٢٣ - ٩٤٦هـ)، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٣٤- جار الله النجم محمد بن عمر بن فهد: نخبة بهجة الزمان بعمارة مكة لملوك بني عثمان، تحقيق: قيس كاظم الجنابي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
٣٥- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة.
٣٦- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ): نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: فليب حتى، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٧- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

٣٨- حيدر مختار: النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية والنهاية، بحث منشور في مجلة قضايا تاريخية الجزائرية، العدد التاسع، رمضان ١٤٣٩هـ، يونيه ٢٠١٨م.
٣٩- خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: د. محمد الأرناؤوط، دار مدار الإسلامي، ط ١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
٤٠- رابعة مزهر شاكر، محمد عبد القادر خريسات: الكتابة التاريخية عند العثمانيين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤م.
٤١- سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، ط ١، الكويت، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
٤٢- سالم الرشيدي: محمد الفاتح، القاهرة، ١٣٧٥هـ.
٤٣- سليمان بن صالح آل كمال: مكتبة آل ابن فهد ودورها في ازدهار الحركة العلمية، بحث منشور في مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية العدد السابع عشر ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
٤٤- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٤٥- سيد رضوان على: السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوربا الشرقية، الدار لسعودية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٤٦- السيد محمد اليمني، الشلي: السناء الباهر بتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي، دار الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤٧- الأمير شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، ط١، ١٤٣٢هـ.
٤٨- طاشكيري زاده (ت: ٩٦٨هـ):الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
٤٩- عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري،ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود و عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٥٠- عبد العزيز بن فهد النجم المكي(ت ٩٢٢هـ): بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، وعبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبدي، دار القاهرة. القاهرة.
٥١- عبد العظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة.
٥٢- عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس(ت ١٠٣٨هـ): النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو، ومحمود الأرناؤوط، وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٥٣- عمر بن حسن، ابن دحية (ت ٦٣٣هـ): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت.

٥٤- عمر بن الوردي المصري، سراج الدين أبو حفص (ت ٨٦١هـ): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: محمود فاخوري، دار الشرق العربي، بيروت.
٥٥- فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة أقرأ، ط ٢٧، ١٤١٤هـ.
٥٦- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.
٥٧- محمد بن أبي السرور البكري الصديقي (٩٩٨-١٠٧١هـ / ١٥٨٩-١٦٦١م)، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله: اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق: ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، دار البشائر، (د ـ ت).
٥٨- محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٥٩- محمد بن أحمد الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله، ت: ٧٤٨هـ): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٦٠- محمد بن أحمد الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله، ت: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٦١- محمد بن أحمد بن علي الفاسي (ت ٨٣٢): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ه.

٦٢- محمد بن إسماعيل البخاري، الإمام الحافظ أبي عبد الله المتوفى (٢٥٦هـ): صحيح البخاري، تحقيق: محمد علي قطب، و هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٣م.

٦٣- محمد بن جرير، الطبري (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٦٤- محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٤م.

٦٥- محمد خليل بن علي، المرادي، أبو الفضل (١٢٠٦هـ / ١٧٩١م): سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، القاهرة، ١٢٩١-١٣٠١هـ.

٦٦- محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ١١، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د ـ ت).

٦٧- محمد بن عبد العزيز بن فهد المكي (جار الله ت ٩٥٤هـ): الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان، تحقيق: محمد بن سلامة مبارك العطوي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٥-١٤٣٦هـ.

٦٨- محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩- محمد بن علي بن أحمد الصالحي (ت ٩٥٣هـ): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ.
٧٠- محمد بن علي الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٧١- محمد عيساوي: إسهامات الحافظ ابن كثير في النقد التاريخي من خلال كتابه البداية والنهاية، " السيرة النبوية نموذجاً " جامعة محمد بو ضياف المسيلة، الجزائر.
٧٢- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية.
٧٣- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ه / ١٩٨٣م.
٧٤- محمد بن محمد الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٧٥- محمد بن محمود الحلبي، ابن أجا (ت ٨٨١هـ): العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، صنعه: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٧٦- محمد بن مكرم بن منظور(ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، ط٣، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٧٧- محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٢هـ.

٧٨- محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
٧٩- محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٨٠- محمود شاكر: ضياع الخلافة، سلسلة الخلفاء، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٨١- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
٨٢- مجهول، أخبار سلاجقة الروم (مختصر سلجوقنامه)، تعريب: محمد سعيد، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٨٣- مسلم بن الحجاج القشيري، الإمام الحافظ النيسابوري (ت ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
٨٤- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٨٥- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة.
٨٦- المهدي عيد الرواضية: اتجاهات الكتابة التاريخية في حلب ومنهج مؤرخها ابن العديم من خلال كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ١١، العدد ٣، ٢٠١٧م.
٨٧- ناصر بن سعد الرشيد: بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة، بحث منشور في مجلة العرب ج ١١،١٢ سنة ١٣٩٧هـ.

٨٨- نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكـــي(ت ٨٨٥هـــــ): معجم الشيوخ، تحقيق وتقديم: محمد الزاهي، سلسة مؤرخـــون مـــن مكة، تقديم: حمد الجاسر، المطابع الأهلية، الريـــاض ١٤٠٢هـــــ / ١٩٨٢م.

٨٩- نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزي (ت١٠٦١هــ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل المنصور، نشـــر دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٨هـــ، ١٩٩٧م.

٩٠- وديع أبو زيدون: تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلـــى السقوط، الأهلية للنشر، عمان، ط٢، ٢٠١١م.

٩١- هـــ. آر. جب: علم التاريخ، كتب سلسلة المعارف الإسلامية، رقـــم ٤، ترجمة: إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمـــان، دار الكتاب اللبناني، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٩٢- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصـــاري، منشـــورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، تركيا، ١٤٠٨هــ / ١٩٨٨م.

٩٣- يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم د. محمد زينهم، محمد عـــزب، مكتبـــة مـــدبولي، ط١، القاهرة، ١٤١٥هــ / ١٩٩٥م.